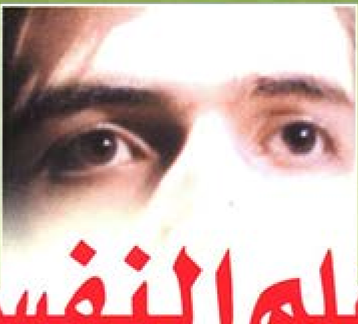


علم النفس الاسلامى

محمدالیزدى

علم النفس الاسلامى

المؤلّف

الاستاذ محمّد اليزدي

تعريب

المؤسسة الاسلاميّة للتّرجمة

هوية الكتاب

▣ اسم الكتاب .... علم النفس الاسلامي

▣ المؤلف .... الاستاذ محمد اليزدي

▣ التعريب .... المؤسسة الاسلامية للترجمة

▣ المطبعة .... الشّتاء ١٣٧٧

▣ الناشر .... پيام مهدى (عج)

▣ عدد النسخ ٣٠٠٠

▣ الطبعة .... الاولى

شابک: ٩-١٣-٠٠-٦١٠٠-٩٦٤ ISBN:964-6100-13-9

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

انبثاق علم النفس

مازال علم النفس، بشكله الذي هو عليه اليوم يعد علماً حديثاً وعصرياً تماماً لما احرزه من تقدم وانجازات على يد المتخصصين فيه بأبحاثهم وتحقيقاتهم وتجاربهم.

وهذه الصورة الجديدة والحديثة لهذا العلم اظهرته وكأنه ابن اليوم، فكم من الاشخاص الذين ينظرون الىٰ الاسلام باعتباره مجموعة من الطقوس العبادية الفردية الجافة، يتصورون انه لا يوجد فيه باب يعالج هذا الموضوع المهم والحساس، وانه لم يعرف هذا العلم المؤثر في المجتمع، ولم ينطق ببنت شفة.

فهؤلاء يظنون ان كل ما موجود في هذا المجال انما هو فقط نتاج جهود وتجارب وتحقيقات علماء الغرب، والتقدم العلمي الحديث في العالم.

الاسلام وعلم النفس

ولكن بقليل من التأمل والتدقيق في النصوص والمصادر الاسلامية الأصيلة، يمكن ادراك حقيقة ان التعاليم الاسلامية قد تناولت كل هذه القضايا بشكل عميق ومفصل من جميع ابعادها وجوانبها. ولم تغادر منها صغيرة او كبيرة.

ويمكن القول بكل جرأة : ان الضوابط والاحكام الاسلامية التي تحتل فيها الاعتبارات النفسية موقعاً مهماً، قد وضعت جميعهاعلى اساس نظام الخلقة العام ، ولهذا فقد اعتبر الاسلام نفسه كفيلاً بضمان سعادةالانسان في جميع ابعاد حياته الفردية والاجتماعية.

وبناء على ما تقدم في هذه المقدمة الوجيزة لابد من الاذعان بضرورة فتح باب البحث حول هذا الموضوع، من اجل معرفة كيفية تعامل الاسلام مع القضايا النفسية ومدى اهتمامه بهذا الجانب ، خصوصاً في مجال التربية و نتعليم الذي أولاه اهمية خاصة.

والكتاب الذى بين أيدكم هو خطوة بهذا الاتجاه من اجل خدمة الاهداف الاسلامية، على امل ان يبذل علماء الاسلام ومفكروه جهوداً حثيثة في هذا الموضوع وكلّ الموضوعات الاسلامية المهمة الاخرى في سبيل ايجاد تحول فكري عميق في البشرية لقيادتها نحو المجتمع الاسلامي المنشود.

المؤلف

١

الخلقة والنظام النفسي (الباطني)

- موضوع علم النفس
- نظام الخلقة
- احترام قوانين الخلقة
- التعرف على نظام العالم الباطني
- النظم النفسية

موضوع علم النفس

يبحث علم النفس في البناء النفسي للانسان، وما يرتبط به من ضوابط وتفاعلات نفسية، ناتجة عن الاحتكاك بالغير، وعلاقة بعضها بالبعض الآخر.

ومن فوائده أنه يتكفل بالاجابة على أسئلة كثيرة من قبيل انه لماذا يحب أو يكره بعض الناس مجموعة معينة من المباديء والمعتقدات؟

- لماذا يبتعد البعض عن تقاليد ورسوم عامة الناس، وينتخب لنفسه أفكاراً وطريقة في الحياة ؟

- لماذا يكون البعض صبوراً، وذا قدرات فائقة علىٰ التحمل وضبط النفس، بينما يكون آخرون قليلي الصبر، سريعي الإثارة، و يغضبون أو يفرحون لأبسط الأُمور ؟

- لماذا يستطيع البعض أن يكيف حياته مع مختلف الظروف ، بينما يضيق آخرون بالحياة بمرور الزمن رغم تمتعهم بمختلف الامكانات ؟

ان معرفة سبل اصلاح وتنظيم الانحرافات النفسية هي من اختصاص علم النفس والطبيب النفسي.

ان الذين لهم معرفة بأُصول ومباديء علم النفس، ويدركون الحاجات الاساسية لطبيعة الانسان الخفية (اللاشعور)، يمكنهم التعامل مع كل حالة

بما يلائمها من اسلوب، ويكونون في حياتهم الفردية هادئين نشطين، وفي حياتهم الاجتماعية اليفين متآلفين ، يكونون أكثر تحملاً ونجاحاً وتوفيقاً في حياتهم من الآخرين[١].

وخلاصة الكلام، حيث ان حياة كل شخص هي من صنع أفكاره ، لذا فان معرفة طريقة تفكير الآخرين من شأنها أن تتيح للمرء حياة أفضل وأكثر واقعية من الناحيتين الفردية والاجتماعية.

نظام الخلقة

بامكان المرء أن يدرك بقليل من البحث والتأمل حقيقة أن الكون تسوده مجموعة قوانين ونواميس عامة، وانها هي التي تُسيّر عجلة الوجود بشكل لا ارادي[٢]، وتدير نظام الحياة بكل معنىٰ الكلمة.

فأنت مثلاً عندما تستيقظ صباحاً وتذهب الىٰ المغسلة وتفتح حنفية الماء، تجد الماء يجري لذاته، وعندما تجلس لتناول الفطور تجد أنه وبمجرد أن تفتح حنفية السماور ان ابريق الشاي والقدح يمتليء لوحده، وهكذا عندما تدخل الحمام وتستقر تحت رشاش الماء؛ تغتسل بمجرد أن تفتح مفتاح الرّشاش.

١ ـ في الحديث : «المؤمن هيّن ليّن، المؤمن ألف مألوف».
عن النبي ﷺ : «كلّم الناس علىٰ قدر عقولهم».
«المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف».

٢ ـ المراد من كلمة «الذاتي أو اللاارادي» هو الثابت المتواصل. وإلّا لو لم يكن الأمر كذلك. فكل نظام الخلقة بانظمته المادية والروحية سوف يتبعثر و يتناثر لو لم يسيطر عليها نظام ما ـ وهو تعالى القيوم عليها كلّها.

كما وتسحب الماء من البئر بالإستعانة بالمضخة ؛ وبتشغيلها يصعد الماء الىٰ الطابق الأعلىٰ و....

ان جميع هذه الأمور تدل علىٰ وجود قانون وناموس طبيعي ، أي قانون استواء سطح البحار الذي يعود بالأساس الىٰ قانون الجاذبية المركزية[1].

احترام قوانين الخلقة

ان كرة الشمس الوهاجة ـ التي تعد بحكم الجاذبية مركز المنظومة الشمسية ـ تسطع علىٰ البحار والمحيطات، فتحول مياهها الىٰ بخار يتصاعد ويتحول بدوره الىٰ سحب وغيوم تستقر فوق المناطق الجافة بفعل الهواء ودرجة الحرارة، لتنزل علىٰ شكل أمطار وثلوج و.... فتخضر الأرض والغابات علىٰ اثرها، ويدخل الفائض منها الىٰ باطن الأرض، ويتحول باصطدامه بصخور الجبال، وطبقات الأرض الصلبة الىٰ مخازن للمياه علىٰ شكل عيون وآبار متفجرة يستفيد منها الناس في مختلف شؤونهم.

ومن خلال هذه الصورة المصغرة والبسيطة لنظام الخلقة، تتضح لنا عدد من القوانين والنواميس الطبيعية :

تأثير النور، والحرارة، والماء، والهواء، وشروط العناصر النباتية، ومئات من أمثال هذه الأمور الخارجة عن مجال بحثنا.

---

١ ـ كل جسم يقع في مركز تلك القوة يسحبه المحيط نحوه، وبالاضافة الىٰ القوة الطاردة المركزية فهو يؤمن كتلة الجسم ايضاً.

اننا نحترم هذه القوانين الطبيعية ونلتزم بها في حياتنا اليومية ، حتىٰ ونحن لا نعلم عنها شيئاً. فنأكل اذا جعنا، ونشرب اذا عطشنا ، نذهب الىٰ الطبيب اذا مرضنا ونلتزم تماماً بالعلاج الذي يصفه لنا ولا نحيد عنه أبداً.

ولتعلم العلم والمعرفة نوكل أمر المدارس الابتدائية ، المتوسطة ، والجامعية الىٰ المعلمين والمدرسين والاساتذة المختصين في هذه المجالات. وفي الفن والصناعة نرجع الىٰ الأعمال الفنية والصناعية و....

وباختصار نستعين في حياتنا لكل من اعمالنا بوسيلة معينة وبمسلك خاص، وبشكل عام نلتزم بهذا الأصل العلمي والقانون الطبيعي الواسع الذي يدعى بـ«قانون العلية»، ويسود جميع القوانين والنواميس الطبيعية.

وسواء أدركنا هذا المعنىٰ والمفهوم أو جهلناه، فاننا نستفيد منه ولا يمكننا أن نستغني عنه بأي حال من الأحوال.

أي أن لكل حادث سبب وعلة خاصة، وللحصول علىٰ أي شيء وسيلة لا يمكن الحصول عليه بغيرها[1].

ان ضرورات الحياة ونظام الخلقة والتكوين تحتّم علينا احترام هذه القوانين والالتزام بها. وسواء شئنا أم أبينا، علمنا أو لم نعلم ، نحن مجبرون علىٰ الالتزام بها لأننا نعيش في اطارها.

غير أننا كلما عرفنا هذه القوانين أكثر وأفضل، استفدنا منها بشكل أحسن، ووقينا انفسنا من مضارها. أن تأثير النور، والحرارة ، الماء، والهواء، والجاذبية، والعلية وامثالها ندعوها بالنواميس والقوانين الطبيعية المقدسة

---

١ ـ أبىٰ اللّه ان يجري الأمور إلّا باسبابها.

الثابتة في الخلقة، ونعتبرها مجاري الارادة الإلهية (بالتعبير العلمي الدقيق للارادة)، و لسنا نعتقد بالقدرة الإلهية علىٰ اسثناء هذه القوانين وحسب، بل و نعتقد أيضاً بأن هناك بعض الاستثناءات علىٰ أثر بعض القوانين والنواميس الطبيعية الاخرىٰ والتي تعتبر بدورها مجارٍ للارادة الإلهية[١].

التعرف على نظام العالم الباطني

وكما أننا ندرك من خلال مطالعة عابرة، وجود هذه النواميس العامة في نظام الخلقة، أي نجد أن عجلة الحياة المادية تدور حول محاور معينة و مدارات محددة، فكذلك هي الحياة النفسية الروحية ؛ تنطبق عليها نفس هذه الامور وتسير وفق ضوابط وقوانين ثابتة، غير أن التعرف علىٰ القوانين المادية أسهل، وبامكان أي شخص أن يدركها، بخلاف القوانين النفسية التي يكون التعرف عليها أدق وأصعب شيئاً ما.

فأنت مثلاً إذا سمعت أن زلزالاً أو اعصاراً أو فيضاناً ضرب منطقة من العالم، وألحق اضراراً مدمرة بعدد كبير من الناس، تحزن من تلقاء نفسك وتعطف عليهم، أو علىٰ الأقل تتلفظ بعبارات والفاظ تنمّ عن الرقة والرأفة عليهم.

وكذلك اذا قيل لك : ان هناك سلطاناً جباراً مستبدّاً ؛ يحكم الناس بقوة الحديد والنار، ولا يتورّع عن ارتكاب اي نوع من أنواع الظلم

---

١ ـ «له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير * هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» الحديد / ٢ ـ ٣.

والجور ؛ تتقلص عضلات وجهك من تلقائها، وتعبّر عن انزعاجك واستنكارك لذلك.

وأيضاً اذا قيل لك ان أُناساً يعيشون في منتهىٰ الرفاهية والراحة في ظل العدل والإنصاف، وينشطون في أجواء من الحرية في سبيل المجد والتقدم والتحضر ؛ تسر وتفرح من تلقاء نفسك.

وبالتالي بتواجد لدىٰ الإنسان النّشاط والنبساط الخاطر إذا أراىٰ أو سمع أو قرأ بعض المطالب أو الحوادث المفرحة، و بعكسه يضيق صدره إذا أطلع على حوادث الضم والحزن.

واذا عاملك شخص ما باحترام ولطف وأدب، فانك ستندفع من تلقاء نفسك الىٰ توقيره ومعاملته بالمثل.

وهكذا اذا واجهت التجاهل وعدم الاكتراث، فانك تواجه ذلك بالمثل، وقد تنفعل و تفقد السيطرة علىٰ نفسك، فتندفع الىٰ ممارسة العنف والخشونة[١]. وان كان بامكانك أن تمارس ضبط النفس وتتعامل مع الطرف المقابل بالشكل الذي تغيره من خلاله في حال ادراكك الظروف النفسية[٢].

---

١ ـ «... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ماعتدى عليكم واتقوا اللّه واعلموا ان اللّه مع المتقين» البقرة / ١٩٤.

٢ ـ جاء رجل الى الكوفة في عمل له فيها، وكان هذا الرجل قد وقع تحت تأثير اعلام معاوية المعادي لعلي (ع) في الشام، فصادف ان راى الامام الحسن بن علي عليهماالسلام، وما ان وقع نظره عليه حتى شرع يسبه ويتلفظ بألفاظ بذيئة في الانتقاص من الإمام، وظل يسب ويلعن حتى تعب ووقف ينتظر رد فعل الامام (ع). فابتسم الامام الحسن عليه السلام وأجابه بكل هدوء وحلم قائلاً : يبدو انك غريب، وقد وردت المدينة حديثاً، ولاشك ان لك فيها حاجة ضرورية، فان لنا فيها جاهاً عريضاً وامكانات جيدة، فان كنت بحاجة الى اعانة اعناك، وان

ان هذه التغيرات التي يمكن ملاحظتها عند جميع الناس، تدل بوضوح على مجموعة العلائق والقوانين الخاصة السائدة في العالم الباطني، والتي يعبر عنها بالغرائز وتحتل مساحات واسعة من نظام الخلقة.

ان هذة الغرائز والنواميس النفسية الانسانية هي التي تشكل الاساس لحياة الفرد والمجتمع. بل حتىٰ الحياة المادية للإنسان تتغير و تتلون وفق تلك العزائز والقوانين النّفسيّة ولهذا نقول ان حياة كل شخص هي من صنع افكاره.

ومن هنا نقول ايضاً، ان حياة الناس تسير داخل اطار من الضوابط والقوانين النفسية، ويمكن أن تكون للانسان حياة سعيدة أو تعيسة بحسب درجة اهتمامه أو تجاهله لهذه الضوابط والقوانين ،أي يمكنه أن يعيش حياة أفضل وأسعد من خلال التعرف عليها.

النظم النفسية

ان الغرائز والنظم النفسية تجري هي الأُخرىٰ بحسب المشيئة الإلهية، ولسعادة وشقاوة الانسان علاقة مباشرة بكيفية استفادته منها واستثماره

كنت بحاجة الى مأوى آويناك، وان كنت بحاجة الى كساء كسوناك، وان احتجتنا في قضاء حاجة لك في المدينة قضيناها لك و...

لاحظ الانفعالات النفسية لذلك الرجل أمام عظمة وحلم الامام الحسن عليه السلام لتحكم بنفسك ما اذا كان من حقه ان يبكي ويقول معتذراً:اشهد انكم أهل بيت الرسالة «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام / ١٢٤.

لها.

فنحن نمرض مثلاً اذا تجاهلنا قوانين طبيعة الخلقة عند تعاملنا مع الجوع والعطش، أي اذا لم نهتم بشروط الصحة والنظافة في الأكل والشرب[1].

وقد يتضاعف مرضنا ويعرضنا الىٰ خطر الموت والهلاك، أذا أصررنا علىٰ تجاهل ذلك ولم نراجع الطبيب ولم نتناول الدواء.

فكذلك نبتلي بالاعتياد علىٰ الافكار المسمومة والسلوكيات الشاذة، اذا تجاهلنا الضوابط والاعتبارات النفسية في حياتنا، وقد تتضاعف تأثيرات هذه الامور علينا وتعرّض حياتنا الفردية والاجتماعية الىٰ مخاطر جمة في حال اصرارنا علىٰ تجاهلها وعدم مراجعتنا الطبيب النفساني والالتزام بتوجيهاته[2].

---

١ ـ من قوانين خلقة الانسان ان الميكروب الذي يدخل الىٰ بدن الانسان عن طريق الماء أو الأكل أو الهواء و... يتكاثر شيئاً فشيئاً، وبمجرد دخوله الىٰ البدن تظهر مقاومة كريات الدم البيضاء، وتحاول القضاء عليه، إلّا انه في حال عجز الأخيرة عن ذلك، ينبغي المبادرة الىٰ مكافحة من الخارج عن طريق الأدوية و الحقن التي يصفها الطبيب المختص، والاّ فأن خطر الموت سيكون محدقاً بالمريض.

٢ ـ ومن قوانين الخلقة ان احترام الآخرين يجلب الاحترام، وللتحقير والاهانة ردود فعل مشابهة. (بالطبع سنتناول اسباب هذه المسألة في المستقبل).

ومن قوانين الخلقة ان الاحترام اللطف والمحبّة، يهب النشاط والصميمية والسرور، انه يسهل الحياة ويخفف ثقل مشكلاتها، وبالتالي يُساهم في تعبيد الطريق نحو السعادة والنجاح.

وبشكل مختصر يمكن القول ان الانسان يعيش من الناحيتين البدنية والنفسية، في إطار قوانين ونواميس نظام الخلقة. ولايمكنه الخروج من هذا الاطار وتجاهله بأي حال من الأحوال.

وبطبيعة الحال يكون المرء ناجحاً وسعيداً في حياته بقدر ما يكون مطلعاًوملتزماً بهذاالنظام و بقوانينه، خصوصاً في المجالات التي تتعلق منها بالنفس الانسانية.

ويبدو أن للالتزام بالقوانين التي تتعلق بالجسم والبدن أثره علىٰ الروح والنفس ايضاً حتىٰ قيل : (العقل السليم في الجسم السليم)، و كذلك يترك الالتزام بالقوانين النفسية أثره الايجابي علىٰ الجسم، إلّا أن مما لاشك فيه هو أن القوانين النفسية تأتي بالدرجة الاولىٰ من الأهمية وتشكل مقياس الحياة السعيدة.

ومن هنا فأننا نلاحظ أحيانا بعض الناس يفتقدون لأبسط الشروط النفسية للحياة الىٰ درجة يعجزون فيها حتىٰ عن التآلف والانسجام مع أهليهم وذويهم، رغم قوتهم وسلامتهم من الناحية البدنية، وعلىٰ العكس من هؤلاء، نجد آخرين يبتسمون للحياة ويعيشون بشكل طبيعي، رغم فقدانهم لبعض أعضاء أبدانهم.

وعلىٰ العكس من ذلك يساهم الازدراء والتحقير في تحريك مشاعر الثأر وعقدة الحقارة التي تترك آثاراً سلبية مدمرة.

وبناء على ذلك يمكن القول أن هناك أشخاصاً يصنعون من جنة الحياة جحيماً يحترقون فيه، بينمايوجد آخرون يصنعون من جحيم الحياة جنّة يمرحون ويلتذون فيها[١]. ولكل من هاتين الحالتين أسبابهاوخلفياتها، ولابد من القول أن الانسان محكوم بنظام الخلقة.

● ● ●

---

١ ـ التقى الامام الباقر(ع) بجابر بن عبدالله الانصاري و سأله عن حاله . أجاب الأخير : أنا بحمد الله في وضع أفضّل فيه الفقر على الغنى. والمرض على الصحة فقال الامام (ع) : اما نحن فلسنا كذلك. بل نرضى بما قسمة الله لنا.
فهل التفتَّ اين يكمن التفاوت الروحي؟ انه يفضل الفقر والمرض على الغنى والصحة ليتقرب الى اللّه تعالى اكثر.
فهو يلتفت الى الحق والمبدء تعالى من خلال الزوايا السلبية فحسب . في حين انه ينبغي الالتفات اليه تعالى في كل الحالات في الشدة والرخاء، ويحس بارتباطه الى نظام الخلقة. ولابد انه سيلتفت الى مبدء الكون ومفيضه.
فرغم أن هذه الحالة تعتبر مرتبة من مراتب الايمان. إلّا ان الأمام (ع) يُشير الى مرتبة أعلى منها ويقول : أن على الانسان ان يكون راضياً عن وضعه في كل حال (بالطبع بأدائه لواجباته) ويعيش بطمأنينة النفس والأمل.

٢

الغريزة والسيطرة عليها

- الغريزة
- عمل الغرائز طبيعي
- توجيه الغرائز
- مثال آخر
- حرب الغرائز و عواملها المحددة
- التصميم، طريق الانتصار علىٰ الغرائز

الغريزة

لقد اودعت الخلقة في المحيط الباطني لحياة الاحياء، عاملاً فطرياً وطبيعياً، وقوة ذاتية لا تحتاج الىٰ تعليم وتمرين باي وجه من الوجوه، اسمه الغريزة.

فاللّه، خالق النفس، اودع سلسلة غرائز في الانسان ترتبط بها جميع فعالياته، وتدعىٰ بنواميس الطبيعة، وهذه الغرائز هي اساس كل احتياجاته الطبيعية، وهي التي تجر الانسان الىٰ ارضاء واشباع تلك الاحتياجات، غير انها تختلف شدة وضعفاً من انسان الىٰ آخر.

وهذه الغرائز وان كانت من جهة نظام الخلقة العام محبوبة وجميلة، ولكن من وجهة نظر الاخلاق وعلم النفس، لايمكن وصف اي منها بالحسن او القبح، اذ ان المهم هو الاثر الذي تتركه قدرة العلم والدين والتربية والحضارة علىٰ تلك الغرائز، وطريقة تأمين متطلباتها والاستجابة إليها.

ومن الامثلة الواضحة لذلك عند الجميع هو ما يرتبط بالغريزة

الجنسية والشهوة، وهي فرع غريزة حب الذات[١]، والتي توجد في الاشخاص حتىٰ قبل مرحلة البلوغ الشرعي والاجتماعي بدرجة ضعيفة.

إلّا ان تلبية الانسان الاولي لهذه الغريزة مجرد عن القيود والقواعد، فأوجد العلم، والتربية، وخاصة الدين سلسلة من الحدود والقيود فاخرج الانسان من حالة التوحش والحيوانية، ولا نريد الخوض في ما يسمىٰ اليوم بالحضارة وكيف مزق كثيراً من تلك القيود والحدود وحاول ارجاع الانسان الىٰ مرحلة التوحش.

وعليه فان هذه الغرائز ـ أي العوامل الذاتية كما في سائر فعاليات الانسان ـ قد ضُبطت وحددت بالتعرف علىٰ اصول الدين والتربية، كما رسمت الطريقة الصحيحة للاستفادة من تلك الغرائز.

والنقطة المهمة هنا هي أن شدة وضعف هذه الغرائز ـ التي تنظم بمقدار كبير عن طريق الوراثة - تؤثرشدة وضعفاً علىٰ شخصية الافراد وتضع كلاً منهم في مرتبة ودرجة، ولا شك في ان الدين والتربية قد تدخلا في حدود تلك الدرجة والمرتبة لصنع شخصية الانسان.

ومن هنالا بد من الاعتراف بالتفاوت والاختلاف الذاتي ، الاستعدادات لادراك زيادة وقلة قدرة وتحمل الاشخاص في فهم وهضم المطالب، وتصديق مقدار تفاعلهم مع العوامل التربوية والدينية.

وأجد من الضرورة هنا الاستشهاد بحديث قيّم ـ يتضمن اصلاً مهماً

---

١ ـ مع ان لفظة الغريزة: «تطلق عادة على الميول الجنسية، لكن معناها هو مطلق الرغبات الناشئة من حبّ الذات وسنبحث عنها في فصل «حبّ الذات».

من اصول علم النفس ـ عن الامام السادس، والمعلم والمربي الالهي الثامن، الامام جعفر الصادق ﷺ حيث يقول:

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».

فكما يختلف الذهب عن الفضة في تركيبه وعدد الجزيئات والذرات وحتىٰ البروتونات والنيوترونات، فكذلك الناس يختلف بعضهم عن البعض في الغرائز من حيث تأثرها وتاثيرها بالمحيط والوراثة، وعلىٰ هذا الاساس يقيّم الفرد أو المجتمع.

عمل الغرائز طبيعي

ان اعمال وفعاليات الغرائز يتم بشكل طبيعي ذاتي، ربّما أنها فاقدة للإدراك والتّعقل فليس لها حدّ تقف عنده.

فكما أن اي عامل من عوامل الطبيعة في نظام الخلقة، الجاذبية، أو الشحنات الكهربائية، أو الميكروبات، أو البكتريا و.... لا فهم ولا ادراك لها لتكون لها سيطرة ذاتية، وانما تتم السيطرة عليه وتحديده باحتكاكه بعوامل الطبيعة الاخرىٰ، فكذلك الكلام في الغرائز في وجود الانسان.

لاحظ مثلاً الطاقة الكهربائية، التي لا تدرك شيئاً حتىٰ في ايجاد الضوء والحرارة والصوت، فهي لا تدرك انها تنفع أو تضر، بل لا تحترم في مجال عملها اي شخص حتىٰ لو كان اديسون الذي اخترعها.

واذا لاحظت الجاذبية التي تجذب الجسم الىٰ المركز، تجد أنها لا تدرك شيئاً عن عملها ولا تعي أن هذا الذي يسقط من أعلىٰ السطح الىٰ الارض

طفل بريء، او حجر أصم؟

فكذلك غريزة حب الذات والركون الىٰ النفس، وهو ما يصطلح عليه «هوىٰ النفس» لا فهم لها ولا شعور، والتي تؤثر أثرها أحياناً باسم الشهوة واحياناً باسم الغضب. فهذه الغريزة في عملها طبيعية تماماً، وليس لها ذاتياً سيطرة علىٰ عملها، إلّا ان يؤثر فيها عامل آخر ويحددها، والا تقدمت مسرعة بدون حدود وقيود حتىٰ ترتطم بعامل طبيعي آخر أي سيطرة نظام الخلقة. كالكهرباء التي ترتطم بجسم غير موصل كالمطاط أو الخشب، وإلّا فهي لا ترحم حتىٰ اديسون.

ان الاشخاص الذين ينقادون الىٰ غرائزهم فحسب مثلهم كمثل السفينة بلا ربان، تسير في خضم الامواج العظيمة، أو كالسيارة الحديثة التي تسير بسرعة بلا فرامل في شارع مليء بالالتواءات.

توجيه الغرائز

الادراك، والفهم، هما اللذان يسيطران علىٰ الغرائز ويوجهانها، للاستفادة منها بالشكل الصحيح.

فالتعقل والفهم هما ربّان السفينة أو المقود والفرامل في السيارة، وهما اللذان يوصلان السيارة والسفينة الىٰ مأمنها بدقة وسلام.

لنفترض أنك أُصبت بمرض بزكام، و دُعيت الىٰ حفل ضيافة عند أحد أصدقائك، ومع أن حالتك الصحيّة غير مساعدة، واحتياجك الىٰ الراحة أكبر فقد خالفت هذه الرغبة الغريزية وتحملت العناء، وحضرت الحفل

واشتركت فيه، واعتذرت عن تناول الاطعمة والاشربة مكتفياً بتناول قدح من الماء.

فمع أن الاحساس بالاحتياج للراحة على أثر الزكام يدعوك الىٰ عدم الاشتراك في الحفل، فانّ فهمك للرسوم الاجتماعية يدعوك لمخالفة هذه الرغبة والهوىٰ النفسي، ويقول لك لا بد من الاستجابة لهذه الدعوة وأن التخلف عنها ذنب إجتماعي أخلاقي أو ديني.

وتقول الغريزة : أي ذنب ؟ لابدّ من الاستراحة !

فيقول الادراك والتعقل : إن حب الذات ليس فقط في الاستراحة، فان خلف الوعد من سوء الادب في نظر المجتمع، وهو يؤدي الىٰ انحطاط الشخصية في نظر الدين والتربية، وعلامة الىٰ عدم الاكتراث بالنفس والآخرين واحترامهم.

فبحكم حبّ الذات، وحتىٰ بدون الالتفات الىٰ هذا المعنىٰ، ولكي يظهر الانسان نفسه بمظهر المؤدّب المحترم، نجده يتحمل العناء والمشقة ويشترك في الحفل.

فادراكك الذي يرشدك الىٰ ان خلف الوعد ذنب اجتماعي هو الذي يتحكم هنا بالغريزة ويسيطر عليها ويوجهها، ويتحرك نحو حب النفس ولكن بمعنىٰ أشمل وأوسع.

وكذلك هوىٰ النفس وحب الذات يقول لك عند مائدة الطعام : كل من هذه الأطعمة والأشربة اللذيذة ! ولكن عقلك وادراكك يقولان لك : لا تقرب من الاطعمة المضرة. وتأمل في الجوانب الصحية لنوعية الاغذية وما يرتبط بسلامة البدن وحاول ان تتناول ما يصلحك من الاطعمة. فقط ويمكنك الاعتذار بشكل مؤدب من صديقك عن تناول الطعام.

وفي هذا المثال يتبين لنا كيفية السيطرة على الغريزة من قبل العقل والادراك في ثلاثة موارد.

وهناك من يخلف الوعد في مثل هذه الموارد، وعندما يواجه اصدقاءه يحاول بيان فلسفة عدم حضوره في الحفل وينسج القصص حول مرضه، أو أن يشترك في الحفل ويأكل من كل الاطعمة فيدخل الضرر على صحته، فيدفع الثمن فيما بعد غالياً[1].

أو أن هذا الشخص يحضر الحفل ويمتنع عن تناول الاطعمة المضرة، ولكنه لا يعتذر الى صاحب الدعوة بالشكل اللائق بل يبين مرضه بشكل يدخل الهم والغم على اجواء الحفل.

فهو قد انقاد الى هواه وحب الذات الى أبعد الحدود، فان كنت مريضاً ومصاباً بالزكام فما ذنب صاحب الدعوة حتى تؤذيه بكلامك وما ذنب سائر الضيوف حتى تعكر صفو ساعتهم وتدخل الهمّ والغمّ عليهم[2].

مثال آخر

عندما يواجه الانسان عدواً قوياً، يفرّ منه بالغريزة ويتراجع.

---

١ ـ وعلى حد قول أحد الكتاب ربما تجاوز اللّه تعالى عن ذنوبنا، امّا سلسلة الاعصاب فلا، بل يجب القول انه ليس فقط سلسلة الاعصاب بل كل الاعضاء واجهزة البدن لا تتجاوز عن ذنوبنا فحسب، بل لا تقدر على ذلك ايضاً.

٢ ـ في الحديث: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه»، فهو لا يطلع على حزنه الّا من له القدرة على اعانته، وسنبحث بشكل مستقل موضوع الشكوى والشكاية ان شاء اللّه تعالى.

اذا كان هذا الانسان يقود سيارة، فاحس بخطر فجأة (كأن يرىٰ نفسه امام قطار سريع)، فانه لن يترك مقود السيارة ويفر من هذه الحالة، بل يحاول التخلص من هذا المأزق بزيادة السرعة وبإعمال الدقة الكاملة بادارة مقود السيارة الىٰ جهة اليمين.

فهنا ايضاً حدّد العقل غريزة الفرار النابعة من حبّ الذات ، بواسطة مقررات المرور، واتخذت شكلاً خاصاً.

وعلىٰ هذا، فالادراك والعقل والتربية و. .. مؤثرة في السيطرة علىٰ الغريزة وتوجيهها.

ومن بين تلك العوامل، يعتبر الدين أهم عامل يمكنه ان يصبغ الغرائز بالصبغة الانسانية، والاستفادة منها بشكل صحيح وعادل في طريق التكامل والحياة[١].

أي أنه ينظم الغرائز ويسيطر عليها ويوجهها بشكل أدق وأحكم واعدل، ويسخّرها لخدمة تكامل ورشد الانسان.

لاحظوا مثلاً الغريزة الجنسية، او حبّ المال والجاه وهي من فروع حبّ الذات : فهي وان حُددت بحدود معينة بواسطة العقل، والثقافة والمدنية والمقررات الاجتماعية، ولكن أياً من هذه لم ينظم الغريزة كما نظمها الدين، أي الاعتقاد القلبي الكائن الىٰ جنب الغريزة والمصاحب لها في السرّ والعلن، «طبعاً بالعمل بالمعتقدات»

---

١ ـ الدين مجموعة قوانين ومقررات نظمت من قبل الوحي ومركز العلم والارادة الالهية (الذي خلق الغرائز كما خلق كل شيء من اجل سعادة الموجودات)، وابلغت بواسطة الانبياء الى البشر.

الايمان بمقررات السماء، والاعتقاد بـالجزاء والثـواب والعـقاب يـنظم غريزة حبّ الذات الخطيرة والانانية الباطلة قبل الوقوع في التهلكة.

حرب الغرائز وعواملها المحدِّدة

الالتفات الىٰ المطالب السابقة يبيّن لنا بان للانسان غرائز طبيعية ذاتية تدير حياته ضمن محيط الخلقة، غاية الأمر، انه يمتاز بقدرته علىٰ السيطرة عليها وتنظيمها بسلسلة عوامل علمية وتربوية ودينية، فيضفي للحياة جمالاً وجاذبية فتكون مثمرة.

والمهم هو كيفية تسلل هذه العوامل الىٰ داخل الانسان ، اقترابها من الغرائز، وكيفية تنظيمها والسيطرة عليها. طبعاً مقدار من الحدود والسيطرة يعتبر طبيعي وقد عبرنا عنه بحدود نظام الخلقة.

أمّا باقي العوامل فيجب أن تعمل عن طـريق التـصميم و الإدارة في السيطرة على أعمال العين، والإذن والأعصاب، و... الّـتي تـعمل مـوافـقة للغرائز، و هذا بتأثير المحيط التربوي والعلمي والديني ومرحلته.

فالمحيط له أثر مهم في تكوين روح الانسـان، فـعن طـريق الرؤيـة والاستماع والقراءة يؤثر في طـريقة التـفكير، والتـصميم والارادة وقـيادة الغرائز بالقسط والعدل، فهو الذي يـصنع انسـاناً مـتفائلاً فـعالاً، نشـطاً مصمماً، ويحرك القوىٰ الالهية المودعة فيه.

والتلقين الخاطيء المغلوط، والرؤية المنحرفة والاستماع الىٰ الاباطيل يُنتج انساناً خاملاً، جباناً، جاهلاً، قليل التحمل والصـبر أمـام الاحـداث

وتلغي استعداداته الباطنية الذاتية وتقتلها.

وهذا المحيط الداخلي، مدرسة كان أو زقاقاً أو سوقاً أو مركز عمل يضع أمام الانسان موضوعاً وخطة. فهل توافق هذه الخطة غرائز الانسان أم تخالفها ؟ وهل يكفي الفهم والادارك ومعرفة الروابط لسيطرة الانسان علىٰ غرائزه أم لا؟

فمثلاً في محيط حياتنا، نحترم الاثرياء وذوي النفوذ والسلطة والمقام بدون الالتفات الىٰ استعداداتهم وكفاءاتهم. ومن يعيش في مثل هذا المحيط، يتعلق ـ بحكم حبّ الذات ـ بالمال والرئاسة والسلطة فهنا تحاول الغريزة باي شكل من الاشكال الوصول الىٰ المال والسلطة لاشباع احتياجاتها الطبيعية، ولا شك في ان المحيط يساعدها في ذلك ويؤيدها عليه.

ولكن، هل تكفي معرفة سلسلة من المسائل الانسانية ومعرفة قيمة الحياة المعنوية، للسيطرة علىٰ هذه الغريزة، ومنع الانسان عن الانحراف في كسب الثروة والسلطة ؟

وبعبارة اخرىٰ، هل يكفي مجرد العلم والاطلاع علىٰ اجبار الانسان علىٰ العمل ؟

من الواضح أن الجواب هو النفي[1].

ومن هنا يطرح هذا السؤال نفسه : ماالعمل لصيانة الغرائز عن

---

١ ـ كما تعلمون فان كل الاطباء متفقون علىٰ مضار التدخين، ولكننا نرىٰ ان الكثير منهم معتاد علىٰ التدخين، أو يعرفون جيداً مضار المشروبات الكحولية، ومع ذلك يلاحظ ان بعضهم معتاد علىٰ تناولها، وهكذا سائر الطبقات بحسب معلوماتهم.

الانحراف ؟

التصميم طريق الانتصار علىٰ الغرائز

وهنا يأتي دور الارادة، وتتجسد القدرة والشخصية وقيمة الانسان

فلابدّ من تعاضد التصميم والارادة مع المعرفة والادارك للحد من انحراف الغرائز لضمان امكان الانتصار والموفقية.

وهنـ تحتل الارادة فصلاً نفسياً خاصاً، وتكتسي باهمية خاصة في صناعة شخصية الانسان.

وهنا يبين الادراك بوسائله ومعداته اي الاعصاب، موقعه وقيمته في الحياة الانسانية.

هنا تتضح قيمة الاعصاب النباتية او الجهاز السمبثاوي والباراسمبثاوي.

واخيراً هنا تتضح علاقة بقية اجهزة الجسم والنفس لتحقيق في : مدىٰ تأثير سلامة الجسم علىٰ سلامة الروح، ومدىٰ تأثير السلامة النفسية علىٰ الاعصاب وطريقة عملها.

ومن هنا تتضح رابطة بقية الاجهزة مع الأعصاب، ورابطة طريقة التفكير المعنوي مع الحياة المادية. والحاصل هنا يتضح الارتباط الدقيق بين الماديات والمعنويات.

وفي هذا الفصل بالذات نقول : ان للمحيط الحياتي، اي الماء والهواء والغذاء واللباس والسكن ووسائط النقل، والصديق ، الاب والام والاستاذ والاجهزة الاعلامية و... له اثر في صناعة الروح وسلامتها أو

مرضها[١].

ولهذا فان الطبيب النفساني يعطي لنفسه الحق في استيضاح مـريضه حول كل خصوصيات حياته حتى علاقاته العائلية والزوجية ، بـل وحـتى حول زوجته وطريقة تعاملها مـعه، والبـحث في ادلة وعـلل العـوارض الروحية والاختلالات الفكرية خلف الستار، ومعالجتها.

«ان هذه المطالب معقّدة نوعاً ما، فـارجـو أن تـدققوا فـيه ليـتضح المقصود».

ان سلوك الانسان يرتبط بشكل مباشر بادراكاته وطريقة تـفكيره، وهذه بدورها ترتبط بسـلامة الاعـصاب، وسـلامة الاعـصاب تـرتبط بسلامة سائر الاجهزة، وسلامة الاجـهزة تـرتبط بـنوع الحـياة وطـريقة التغذية والمحيط الاقتصادي، الديني والتربوي، وهذا المحيط يؤثر في الغرائز الطبيعية وطريقة التفكير.

وفي الوقت نـفسه، فـان نـوع الحـياة، وطـريقة التـغذية والمحـيط الاقتصادي والديني والتربوي، يتولد ويُدار تحت اشراف طريقة التفكير والادارك، ولابد من القول بان حياة الانسان تدور في دائرة خاصة.

وكما اشرنا سـابقاً، فـاننا نـعتقد بـان المحـيط الاقـتصادي والديـني والتربوي يؤثر في طريقة التفكير عن طريق التأثير في الغرائز والاجـهزة والاعصاب وهي بالتالي صانعة لحياة وشخصية الانسـان ، ولكن لاشك أن الجسم والاحيتاجات الحياتية تؤثر في مسير الغرائز وفي بناء حياة وشخصية

---

١ ـ لمزيد من الايضاح راجع كتاب «دور المحيط » للمؤلف.

الانسان، وأن لها تعلقاً خاصاً بحياة وروح الانسان فتجد احياناً بان الطبيب وكلما فحص المريض من الناحية الجسمية، فانه لا يجد أن نقص وخلل في تركيب الجسد ومع ذلك يجد المريض قليل الشهية للطعام، محباً للعزلة، سقيماً، وينحل جسمه يوماً بعد آخر.

واحياناً لا نجد علة روحية للمرض، ومع ذلك نلاحظ انحطاط الصحة الجسمية والضعف والهزال واليأس.

ومن هنا نجد افلاطون يقول : «من أكبر أخطاء السادة الاطباء هو التحقيق في الحالات المرضية الجسمية بشكل مستقل، وكذلك نفس الانسان لا تحيا بشكل مستقل بل الجسم والروح لهما حياة مشتركة».

ولكشف علل الامراض المعقدة، فان على الطبيب ان يتسلح بعلم النفس أو أن يتعاون مع طبيب نفساني، كما أن على الطبيب النفساني أن يستفيد من آراء الطبيب الجسماني في فحوصاته وعمله وأن يطالعها ويتابعها[١].

---

١ ـ قيل ان موظفاً ذو استعداد كان يشغل منصباً في احد المصانع، وفجأة عيّن مسؤولاً عن كل المصنع، وفي اليوم التالي لم يأت الموظف الى عمله، وكان يقول بان وجعاً اصابه في ركبتيه، واستمرت حالته الصحية في التدهور، فرقد في احدى المستشفيات، وكلما فحص الاطباء جسمه لم يجدوا سبباً وجيهاً لوجعه، وبعد ان تعاون الطبيب النفساني مع طبيبه المعالج عثر على ان سبب ذلك الوجع هو الاحساس بالمسؤولية الثقيلة الملقاة جديداً على عاتق هذا الموظف مع عدم استعداده النفسي لتحملها مما ادى الى ضعف في اعصابه فأوجد فيه ضعفاً خاصة في اعصاب العضلات، فانه كان يرى في حركته الى المصنع حركة نحو المسؤولية الثقيلة وهذا التفكير ولد فيه هذه الحالة الجسمية.
وهنا حاول هؤلاء تلقين هذا الموظف شيئاً فشيئاً عن طريق ذكر حالات الرؤساء الكبار وابتكاراتهم واقتناعه بانه قادر على القيام بما يقومون به

أنّ انحلال وضعف البدن مؤثر في ضعف الارادة والعمل، ولكن قوة البدن والجسم غير كافٍ للارادة والعمل، وعدم الاطلاع علىٰ مقدمات ونتائج العمل مؤثر في ضعف الارادة والعمل ولكن الفهم والادارك لوحدهما غير كافيين لصنع انسان ذو ارادة.

أي لابدّ من تقوية الارادة والعمل بعد توفر الشرائط الجسدية.

فمثلاً مع اننا نعلم جيداً بان التدخين مضرّ، ولذا فان علينا عملياً اجتنابه و كذلك نعلم بان الكحول مضر وان اضراره غير قابلة للجبران، فان علينا ان نصمم عملياً علىٰ عدم تناوله، ومع اننا نعلم بعواقب الخمول والضعف والبطالة ونتائجها، فان علينا أن نصمم عملياً علىٰ الابتعاد عنها والآن نقول لانفسنا : أين وصل اولئك الذين سلكوا هذه الطريق ؟

أليس الأفضل أن نسلك طريقاً مفتوحاً ويسلك بنا الىٰ طريق الحياة الواضح النافع ؟

وبتوجيه الروح وتهيئتها لقدرة التصميم والارادة والشخصية النفسانية، والذي يتم عن طريق التعليم والتمرين والتكرار والاصرار والتلقين، لكي نستطيع الحد من انحراف الغرائز وهدايتها نحو الطريق الاصلي ؟

● ● ●

بالضبط، حتىٰ أوجدوا فيه حالة الاستعداد لقبول تلك المسؤولية وهضمها، ولم تمض فترة حتىٰ زالت تلك الحالات المرضية من ذلك الموظف تماماً. «عن مجلّة سلامة فكر ـ باختصار ـ».

٣

الانانية

- الانانية أو الشهوة والغضب
- شعاع حبّ الذّات
- أفضل مقياس
- توقّع الخدمة من الآخرين
- مضار الاتكالية
- طريق العلاج

الانانية، أو الشهوة والغضب

من جملة الغرائز التي أودعها الله في الانسان غـريزة حبّ الذات او الانانية، والتي لا توجد في الانسان فحسب، بل وعـلىٰ اسـاس الاحـتياج الضروري الطبيعي، فهي موجودة في كل الموجودات الحية.

ولابدّ من التذكير بأن لهذه الغريزة سلسلة فعاليات، بتفاوت انها في الانسان القديم كانت تتم برسوم وطرق خاصة، ولكن الدين والتربية أثرا علىٰ ذلك، وعيّنا الطريق الأصح لضبط هذه الغريزة.

وقد قسّم العلماء الماضون، كل الفعاليات الحياتية للانسان الىٰ قوتين : هما الشهوة، والغضب. واعتقدوا بان جلب النفع وتهيئة مستلزمات الحياة يتم بواسطة الشهوة، وان دفع الضرر والحـد مـن حـملات الاعـداء يـتم بواسطة الغضب ايضاً.

وموضوع جلب النفع، ودفع الضرر، موضوعان حياتيان فيالاحياء[1] اللذان يتجليان في طبيعة الانسان بصورة غريزة، يـبدآن مـنذ اللـحظات

---

١ ـ ان التـلقيح والانـجاب، وبقاء النسل، وتـهيئة مسـتلزمات الحـياة ومـواجـهة الاعـداء لا تـختص بـالانسان، بـل تـعم الاحـياء مـن النـباتات والحـيوانـات والانسان.

الاولىٰ لحياة هذا الموجود أي مرحلة الجنين، ثم مرحلة الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة، فهو يحاول دائماً جلب النفع اليه، ودفع الضرر عن نفسه.

فالطفل، وفي الايام الاولىٰ لحياته، وبحكم تلك الغريزة ، يمتصُّ اللبن من ثديي أُمّه بجلب النفع الىٰ نفسه، وعندما يحسّ بعدم ملائمة المحيط له بهوائه وغذائه، يحاول دفع الضرر عن نفسه عن طريق البكاء والصراخ داعياً الآخرين لانقاذه.

وفي هذه الظروف نجد أنّ غريزة حبّ الذات وحدها قد عملت بشكل طبيعي وبدون تدخل اي عامل آخر فيها، اي ان الاحساس البسيط[1] بالجوع او العطش، او الألم هو الذي حركها بدون تدخل الفكر والعقل بصورة تلقائية.

وبعد ان يكبر هذا الطفل ويتسع محيط فهمه وشعوره، تتسع دائرة هذه الغريزة تبعاً للاحساس.

فالطفل في أشهُره الاولىٰ يلتقم كل ما يصل الىٰ فمه، ولا تُحدّد غريزته بقيد أو شرط، ولكن في السنتين الاولىٰ والثانية وكلما تقدم به العمر فان دائرة احساسه تكبر وتتسع بالاستعانة بادراكاته وشعوره، وتتقيد غريزة حبّ الذات عنده بشرائط وقيود معينة.

---

١ ـ ان احساسات الانسان تتجلىٰ في الظروف البسيطة، ثم تقترن فيما بعد بقوة التخيل والفكر، وحينئذ تدعىٰ «الاحساس المدرك» وعادة تكون احساسات الانسان بعد الثانية عشرة من عمره احساسات مدركة وليست بسيطة.

فاذا وصل الىٰ سن الثامنة والتاسعة، فـان فـعاليات الغـريزة تـتأثر بالمحط الذي يعيش فيه، وتتخذ طابعاً آخراً، فـيوفر مسـتلزمات حـياته واحتياجاته بطريق آخر، ويواجه الشرائط الجديدة بطريقة اخرىٰ متناسبة معها.

وبعد مدة يصل مرحلة الشباب، ويتحرك نحو حبّ الذات بشكل آخر متأثراً بالدين والتربية والحياة، ويستمر علىٰ هذا المنوال.

ولكن في تمام المراحل اللاحقة، نجد الانسان وان حاول التكيف مـع المحيط والتربية والعوامل أعلاه، الاّ اننا نراه دائماً يحاول اشباع حبّ الذات والدفاع عنها قبال المضار والاخطار والأعداء[1].

وعلىٰ هذا فان غريزة حبّ الذات المـتأثرة بـالاحساسات والتي كـلما تقدمت في سير رشد الحياة، كلما قويت ولكنها مع ذلك تحدد في محيط العلم والتربية وامكانات الحياة. فتحاصر بهذه العوامل وتشخص الحسـن مـن القبيح والمضر من النافع والحلال من الحرام، وتتحرك في ضمن اطار هذه المنقدات.

شعاع حبّ الذات

حب النفس والذات غريزة ثابتة عامة في الناس بدون استثناء، الاّ أن هذه الغريزة كغيرها من الغرائز متأثرة بعوامل التربية والدين والمدنية و...

---

١ ـ مسألة تـأثير المـحيط وان الانسـان مـصنوع مـحيطه او العكس. قـد بـحثت فـي كتاب المؤلف «دور المحيط».

شدة وضعفاً. وبتعبير أدق لابد من القول:

إنّ مفهوم ومعنىٰ كلمة الذات ـ لا أصلها ـ يتسع ويضيق تحت تأثير هذه العوامل والناس يحبون أنفسهم وذواتهم في كل الظروف والأحوال بما أنّ الإنسان يحبّ نفسه لذا فهو يتعلّق بعمله، وابتكاره، و بحياته الخاصة، و بزوجته، وأطفاله، و ينظر أى ما يتعلّق بـه بـنظره تختلف عـن نـظر الآخرين.

ولأن الناس يحبّون أنـفسهم، فـانهم يحـبّون ان يُحـترموا مـن قـبل الآخرين، وان يُذكروا بخير علىٰ السنتهم، ولذا فـهم يحـبون أن يـوصفوا بالعلم، والطهارة، والابـتكار. والخـلاقية وبـاقي الصـفات الحـميدة. وأن يصورهم الآخرون بصورة جميلة.

وبالاصطلاح الفني، فان الانسان ولانه متعلق بذاتـه ومحبّ لنـفسه، فانهمحب لكل مراتب وجوده الاربعة:

١ ـ الوجود الكتبي، الاسم، والصورة والكتابات.

٢ ـ الوجود اللفظي علىٰ ألسنة الآخرين.

٣ ـ الوجود الذهني في فكر الآخرين.

٤ ـ الوجود العيني.

والحاصل، ان الانسـان متعلق بنفسه وبكل الشؤون المرتبطة بها وانه يتحرك نحو حفظها ونموها وان كانت هذه الشؤون والارتباطات وعلىٰ أثر عوامل مختلفة، تنفصل بذات الإنسان وتـنفصل عـنه، ولكـن الذّي يـبقىٰ مستمرأو على الدّوام مع الإنسان هـي ذاتـه. و يجب أن يكـون العـمل الدّؤوب هو ما يحفظ هذه الذّات المتأصّلة في وجود الإنسان والّتي تتلائم مع خلقته و فطرته.

الّا أنه يبدو بأن كل هذه الفعاليات نابعة من نفس غريزة حبّ الذات، وان سمي قسم منها باسم الشهوة، وقسم منها باسم الغضب ، اي نوعين من ردود الفعل علىٰ أثر عامل نفسي واحد.

أفضل مقياس

بالالتفات الىٰ ما مرّ يمكن القول : بأن أفضل مقياس للانسان ـ في حياته الاجتماعية وعلاقاته مع ابناء مجتمعه ـ هو نفس الانسان ، أي لابد أن يعتبر نفسه وسيلة للقياس ومعياراً للحسن والقبح.

ألا نفرح ونُسر اذا ما احترمنا الآخرون ؟

ألا ننفتح وننشط اذا ما أحبنا الآخرون ؟

ألا نفرح وننشرح اذا كان عندنا مشكلة وحُلّت بمساعدة الآخرين ؟

واذا كان فينا انحراف وحاول الآخرون نصيحتنا وهدايتنا ، رأينا انهم علىٰ صواب ووقفنا علىٰ نتائج ذلك، ألا يسرنا ذلك ؟ ألا نذكرهم بخير واحترام[1] ؟

من الطبيعي انّ الاجابة علىٰ كل هذه الاسئلة هي الايجاب[2].

والآن، أليس من الأفضل ان نحترم الآخرين ايضاً، ونحبهم ونساعدهم

---

١ ـ المؤمن مرآة المؤمن.

٢ ـ قال رسول اللّه (ص) : «اللّهم لا تجعل لفاجر عليّ مِنّة فتروقه منّي محبّة».

المحجة البيضاء آداب الصحبة والمعاشرة / ج ٣ ص ٢٨٨.

ونساهم في حلّ مشاكلهم، ليفرحوا ويُسروا ويظهروا حبهم وودهم لنا ؟

ألا ينبغي علينا بالالتفات الىٰ هذه الأُمور ان نحتل موقعاً جميلاً في اذهان وتصورات الآخرين ؟

من الطبيعي أن يكون الجواب بالايجاب.

ألا نحزن ونغتم اذا ما حقرنا الآخرون وأهلونا وسبّونا ؟

ألا نحزن ونغتم ونتأذىٰ اذا ظلمنا الآخرون وآذونا ؟

ألا ينكسر خاطرنا ونتألم اذا راجعنا الآخرين لقضاء حاجتنا وحلّ مشكلة ما، فلم يستجيبوا لنا مع قدرتهم علىٰ قضاءها؟

أليس ردّ الفعل لمثل ذلك هو ايجاد النفرة وسوء الظن والغضب علىٰ ذلك المقابل ووصفه باقبح الاوصاف واشنعها في أوهامنا وتخيلاتنا؟

أليس. ...

وجواب كل هذه الاسئلة وبحكم ردّ فعل الغريزة، هو : نعم.

والآن أليس من الأفضل أن لا نحقّر الآخرين ولا نظلم ولا نغصب حقوقهم، ولا نؤذيهم فيتألموا منّا ؟

أوليس الأفضل ان نسعىٰ «لحل» مشكلات الآخرين بحسب القدرة، اذا طلبوا منّا ذلك وان لا نُرجعهم خائبين[1]؟

أليس الأفضل بالالتفات الىٰ هذه المطالب ان نجتنب ردة فعل مثل هذه

---

١ ـ وفي الحديث : «حوائج الناس اليكم من نعم اللّه عليكم».
وقد وردت احاديث كثيرة في هذا المجال عن الائمة عليهم السلام ـ راجع الكافي.

الافعال وان لا نصوّر أنفسنا بصورة قبيحة في أذهان وخواطر الآخرين ؟

وبشكل عام، أليس الأفضل أن نصنع لأنفسنا شخصية واضحة ساطعة مع الأخذ بنظر الإعتبار للقيّم الانسانية، وأن نعمل للصالحات ونجتنب القبائح من اجل أنفسنا ومن أجل اللّه ؟

من الطبيعي أن الجواب علىٰ هذه الاسئلة هو الايجاب. وهذا هو الموضوع المعروف الذي عالجته آيات القرآن الكريم من ظل الأُخوة والاخاء والذي ورد في الأحاديث الشريفة، والروايات الاسلامية بتعبيرات عديدة مختلفة وأوضحها قوله ﷺ : «وأن تحب لغيرك ما تحب لنفسك».

توقع الخدمة من الآخرين

التوقع، يعني ان يعتقد الانسان بان علىٰ الآخرين خدمته وبلا شك اذا لم يقم الآخرين بخدمته فانه سيغضب ويتاذىٰ وينتقدهم ويذمهم.

وجذور هذا التوقع طبيعي، وينشأ من احتياج الانسان الىٰ محبّة الآخرين في مرحلة الطفولة.

فالطفل ومنذ الايام الاولىٰ لحياته الدنيوية يملك احساسين متناقضين. فهو من جهة يشعر بالضعف وطفيلية حياته ومعيّته لابويه، ولذا فانه يحتاج الىٰ رعايتهما وضمانهما وحبهما بالكامل وخاصة عطف الأُم التي منحتها اياه يد الخلقة. فهو يلتذ التذاذاً خاصاً بعطفها وحنانها، كما ان لمحبة

الاب اثر خاص فيه.

وفي نفس الوقت، فان هذا الطفل يطلب الاستقلال، وكلما أحسّ بشخصيته فانه يشعر بلذة ونشاط خاصين، فاذا قام يوماً بعمل ما كالأكل بيده لا بيد أمه وأبيه، أو استطاع يوماً أن يقف لوحده علىٰ رجليه، فانه يغرق في اللذة والنشاط كما يغرق الفاتح بفتحه وانتصاره!!

فاذا نما الاحساس بالحاجة الىٰ الاب والام، والىٰ المعلم والمدرسة والآخرين، فانه سيولد حالة التوقّع عند الانسان، وشيئاً فشيئاً تنشأ شخصية الانسان على التوقع وانتضار الخدمة من الآخرين.

وكذلك لو انعكست الصورة فاذا نما عند الطفل بنموه حس الاستقلال والشخصية، فان اعتماده علىٰ نفسه وشخصيته سيصنعان منه فرداً رشيداً كاملاً.

والطفل يواجه هذين الاحساسين، حتىٰ يؤثر فيه المحيط التربوي وكفاءة الأب والأم، فان تربىٰ تربية صحيحة مطابقة للاصول العلمية في تربية احساساته، كسرت حالة التوقع من الآخرين فيه يوماً بعد آخر ،وعُظم فيه الشعور بالاستقلال وقوة الشخصية والاعتماد علىٰ نفسه.

فكما أن وضع الطفل الجسدي ينمو شيئاً فشيئاً ويتطور . كذلك احاسيسه وشعوره بالاستقلال والشخصية، اي بمجرد أن شعوره بان بامكانه الاستقلال بالأكل والمشي والنطق وسائر الاحتياجات الابتدائية، فانه لا يتوقع معونة الآخرين حينئذٍ، بل ويفرّ من التبعية ولا يكون مستعداً

لقبول المساعدة على الأكل او المشي او النطق بدلاً عنه[١].

وكذلك رشده الروحي، لابد أن يطوي مراحل سيره التكاملي، ينبغي ان يشعر الطفل تدريجياً بأنّ عليه التحرّك لادارة حياته، وان يدرك جيداً بان على الانسان ان يعيّن ويشخص مصيره[٢] بنفسه وان يصنع سعادته بيده[٣].

وامّا اذا لم يشيد المحيط التربوي، الاستقلال والاعتماد على النفس في الانسان، الى جانب رشده الجسدي وبقيت حالة التبعية والحاجة الى المحبّة في نفسه تولّدت فيه حالة التوقع من الآخرين ، اتخذت طابعاً خاصاً وصار الشخص سريع الانفعال ينتظر خدمة الآخرين له ومساعدتهم بدون مقابل.

مضار الاتكالية

وهذه الحالة تولد في الانسان ضعفاً نفسياً الى درجةً أن محبة الآخرين لم تعد تؤثر فيه، بل تزيده اتكاءً واعتماداً على الغير حتى يصير منكراً

---

١ ـ لاحظوا ان طفلكم الذي له من العمر سنتين يحب ان يكون مثلكم عندما يجلس على مائدة الطعام، وان يكون مستقلاً في الأكل . عندما يبدأ بالمشي او التكلم فترونه ينطق بالكلمات الجذابة، وهذا كله نابع من حبّ الاستقلال.
وعليكم حينئذ ان تسعوا الى تقوية روح الاستقلال فيه، وأن تمنحوه الحرية مع مراقبته لئلا ينحرف أو يزلّ.

٢ ـ موضوع المصير له تفصيلات متشعبة، ونقصد منه هنا مقدار ما في اختيار الانسان وقدرته.

٣ ـ «ليس للانسان الاّ ما سعى» سورة النجم / ٤٠.
«ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها» سورة الاسراء / ٧.

للجميل.

ان التوقع وانتظار معونة الآخرين تجر بيد الانسان الىٰ توقّع خدمة الآخرين له ساعة بعد ساعة حتىٰ يصير عاجزاً عن ادراك عطف الآخرين ومحبتهم وخدمتهم له، ولذا يصرف اكثر أوقاته ـ وانطلاقاً من انانيته وحبه لذاته ـ في انتقاد الآخرين، وذم هذا وذاك.

ومن هذه الانتقادات والذم الذي يوجهه للآخرين كرد فعل علىٰ حسن صنيعهم، تولد في هذا الشخص حالة من سوء الظن في الآخرين، ينتهي به الىٰ الاعتقاد بانهم يحتقرونه ويهينونه، مما يؤدي به الىٰ اختيار العزلة عن المجتمع، فينساه المجتمع، وانت تعلم حال من يعتزل المجتمع وينساه المجتمع بدوره، فانه جحيم لا يطاق لا غير.

ألسنا نحن الذين نصنع مثل هذه الجحيم لأنفسنا ؟

أليس من الأفضل ان لا نُبلي أنفسنا وأبناءنا بمثل هذا الجحيم ؟

وأن لا نتوقع كثيراً من الآخرين كي لا نتأذىٰ ؟

إن مثل هؤلاء الاشخاص، الذين لهم احساس مرهف، حتىٰ لو توقعوا أمراً مباحاً من الآخرين فانهم سيتأذون اكثر من الناس الاصحاء نفسياً، اذا ما لم يستجيبوا لتوقعاتهم.

وعلىٰ العكس، اولئك الذي لا يتوقعون الكثير من الآخرين ، انهم حتىٰ في موارد سلامة التوقع، لا يتوقعون شيئاً من الآخرين . اذا ما أسديت اليهم محبة وعطف فانهم سيلتذون كثيراً مهما كانت تلك المحبة والخدمة قليلة فيشكرون الناس علىٰ لطفهم، ولا مفهوم ولا معنىٰ عندهم لما يخالف توقعهم، اذ انهم لا يتوقعون شيئاً حتىٰ يتألمون بفقده ينتقدون الآخرين

ويذمونهم، وعليه فلا احساس بالوحدة ولا ترك للمجتمع، فلا يتركهم المجتمع وينساهم ولا جحيم في البين.

طريق العلاج

لكي لا نبتلي بمثل هذا الوضع الروحي المأساوي، أو لكي ننجو من مثل هذا الوضع اذا كنّا قد ابتلينا به، علينا ان نسلك أحد طريقين :

الطريق الأول : تقوية الاعتماد علىٰ النفس ومعرفة الاصل السابق والذي يأتي عن طريق مطالعة نظام الحياة العام او الحياة اليومية للاشخاص الموفقين[١].

---

١ ـ كنت اعرف ميلونيراً بدأ حياته من نقطة الصفر، وباعتماده علىٰ نفسه ، وكان يستفيد من التجارب والاحداث لرسم حياته. ذات يوم وفي تمام الساعة الثامنة صباحاً كنّا أنا واياه نمر من امام بناية احدىٰ الوزارات وكانت سيارة الوزير قد صفت بالقرب من ذلك المكان . نظر صاحبي الىٰ السيارة وقال، يا فلان اتدري لماذا صار الوزير وزيراً وصرت انا تاجراً ؟ وقبل ان يسمع جواباً مني قال : بدليل انه استيقظ قبلي من النوم وجاء الىٰ عمله قبل الوقت الاداري.
لاحظوا، ان هذه الجملة قصيرة ولكنها تعني الكثير. فانها اجملت اسباب الموفقية اي ينبغي ان لا ينتظر الشخص خدمة الآخرين وعليه ان يسرع الىٰ العمل بنفسه.
وكنت ايضاً اعرف رجلاً متديناً متمولاً واعياً وعلىٰ حدّ قوله : انه جاء من القرية وعمل مستخدماً في دكان، وكان يلبس حذاءً يخجل من الذهاب به الىٰ المدينة، ولكنه بالاستقامة والاعتماد علىٰ النفس والجد والاجتهاد، صار اليوم من كبار التجار المحترمين ويعيش حياة مرفهة وله وزن اجتماعي معتبر.
وحياة هؤلاء والمئات من امثالهم ليست معجزة، بل هي استفادة من قوانين الخلقة.

ولا شك في أن تقوية روح الاعتماد علىٰ النفس في دور الطفولة أسهل ـ مع المراقبة الخاصة والتربية المبرمجة ـ من تـقويتها في مـرحـلة الكـبر ـ ويمكن الاستفادة من تجارب الرجال الموفقين وحياتهم وكذلك من القوانين الدينية.

الطريق الثاني : وهو نتيجة بحثنا. وبالالتفات الىٰ المـطالب السـابقة حول حب الذات، فان النفس هي الميزان والملاك. فبمقدار ما يخدم الانسان الآخرين وبمقدار ما يتحمل من همومهم ومشاكلهم ، فبنفس المقدار ينبغي ان يتوقع خدمة الآخرين له لا أكثر.

فكم نذكر الآخرين ونتلطف عليهم ونخدمهم ؟

واذا سافرنا سفراً ما، كم نتذكر اصدقاءنا واخواننا في هذا السفر ؟ وكم نحمل لهم الهدايا ؟ واذا قمنا بحفل فبأي مقدار نهتم بدعوة الآخرين اليه ؟

وبشكل عام كم نحن مهتمون بمصلحة المجتمع وسائر الناس ؟

وما مقدار اهتمامنا، وعلىٰ أي محور يستند هذا الاهتمام وبأي دليل ؟ هل هو لاجل الصداقة والمعرفة، والقرابة والصلة، لأجـل المـصلحة المـتقابلة، لأجل ما له اثر في حياتنا الخاصة ؟ أم لاجل اللّه وحبّ الانسانية؟

أليس من الأفضل أن نجعل أنفسنا ميزاناً ومـقياساً لتـوقعنا مـن الآخرين، فنتوقع منهم الاحترام والاحسان بمقدار ما نقدم لهم ؟

هل نعلم بأن حبّ الذات عند الشخص تشغله عادة بنفسه وتمنعه عن التفكير في الآخرين، فلايهتم بهم الاّ في ظروف خاصة؟ فلابد أن نتوقع من

الآخرين ايضاً في نفس هذه الظروف.

أليس الأفضل الالتفات الىٰ ان الاصل في الانسان هو النسيان فلانتوقع من الآخرين، حتىٰ في موارد الظن بصحته، لكي لا نتألم اذا ما لم يحدث ذلك؟

أليس الأفضل وبدلاً من توقع الخدمة من الآخرين، ان نفكر نحن بخدمة الآخرين وان نتلطف عليهم ونهتم لهم بالمقدار الممكن ؟

ألا ينبغي علينا أن نتذكر دائماً ما قاله الامام علي عليه السلام من أنّ علىٰ الشخص أن ينسىٰ ما قدمه من صنيع للآخرين ويتذكر ما قُدّم اليه من صنيع من قبل الآخرين ؟

فلنطلب أجوبة هذه الاسئلة من أنفسنا، فان كانت ايجابية وإلّا فلنحاول اصلاحها ومعالجتها بسرعة.

وعلىٰ هذا، فان كل شخص يحب نفسه وما يرتبط بحياته من الأُمور، وينظر اليها بنظرة خاصة وبصورة غريزية.

أي أنك تنظر الىٰ نفسك، كتاباتك، آثارك العلمية والفنية ، أطفالك بنظرة تختلف عن نظراتك للآخرين، ولا يمكنك ان ترىٰ الآخرين بنفس النظرة، فينبغي أن لا تتوقع أن ينظر الآخرون الىٰ آثارك العلمية والفنية والىٰ اطفالك بنفس نظرتك اليهم.

فهل ننظر نحن الىٰ كتابات الآخرين وحياتهم وآثارهم العلمية ، الأدبية والفنية بنفس النظرة التي ينظر بها ذلك المؤلف والفنان ؟

وهل نهتم باولاد الناس بنفس الدرجة التي نهتم بها باولادنا ؟

من الطبيعي ان الجواب عن هذه الاسئلة هو النفي.

أليس من الأفضل ان نعلم بان اهتمام الآخرين بنا وبآثارنا يقوم علىٰ نفس اساس تلك الامور التي تجعلنا نهتم بالآخرين وبآثارهم ، أعني الدين والتربية والعلم والأدب والفن والجمال و...

اذن، فلابد ان نتمتع بهذه الامور التي يحبها الناس ليحبنا المجتمع، وان نستفيد من نتائج ذلك.

وبالالتفات والتدقيق في المطالب السالفة لا يعود الانسان كثير التوقع من الآخرين، ولا سريع الغضب، ضيق النظرة منتقداً للآخرين، معتزلاً عن الناس، محروماً، منبوذاً.

أليس الآخرون مثلنا ؟

وعلىٰ هذا، أليس الأفضل أن نعتبر أنفسنا مقياساً للحياة مع الآخرين ؟

أليس الأفضل ان لا نتوقع الكثير من الآخرين لكي لا نتألم ونتأذىٰ اذا لم نحصل علىٰ شيء منهم ؟

* * *

٤

الشخصية

- دور الشخصية
- الاحساس بالشخصية
- احترم النّاس علىٰ مقدار شخصياتهم
- اهتمام الاسلام بالشخصية
- نموذج عن الامام الرضا(ع)

دور الشخصية

ان لإعتقادات الإنسان سواء في مرحلة الغفلة او الالتفات، لها دور خطير في حياة الانسان، حتىٰ انها تؤثر أثرها الفعال احياناً بدون أن يلتفت الانسان الىٰ ذلك.

ويمكن القول بجرأة ،بأن القسم الاعظم من المسائل التربوية واساس التربية والتعليم تتحملها الانظمة النفسية التي تبني شخصية الافراد، وكلما ازداد الاهتمام بها، كان توفيقنا في نباء الشخصية.

الالتفات الىٰ نمو شخصية الاطفال، وقياس أفكارهم، والتعرف علىٰ دنيا الصبيان، يحل كثيراً من المشكلات، ويدفع عملية التربية والتعليم للاطفال خطوات فعالة نحو الامام.

اذا لم يتعرف المعلم علىٰ شخصية الطفل، واذا لم يقحم نفسه في دنيا الاطفال ويتكلم معهم بلغتهم، فانه لن يستطيع ان يؤدي وظيفته بالشكل اللازم أبداً، فلا يكون موفّقاً في عمله.

وكذا الحال فيما يرتبط باستاذ الجامعة، فما لم يتعرف علىٰ دنيا الطلاب

الجامعيين وشخصياتهم بالشكل الكافي، فانّه لن يستطيع إفهامهم مطالبه العلمية وايصالها الىٰ اذهانهم والى ارشادهم الىٰ التفكير الصحيح.ولاالى ايصالهم بالتالي الىٰ منازل الخير والسعادة.

وبشكل عام، فان القائد والزعيم، ما لم يتعرف علىٰ شخصيات اتباعه وطريقة تفكيرهم جيداً، لايستطيع هدايتهم الىٰ جادة الخير والسعادة.

ومن هنا، اهتم الانبياء والقادة السماويون بهذا الأصل اهتماماً وافياً. فكانوا يتكلمون بلغة اتباعهم، حتىٰ أنهم كانوا احياناً يظهرون انفسهم بمظهر الموافق لفكر اتباعهم، ثم يبيّنون لهم اشتباهاتهم واخطاءهم[١].

ويعتبر النبي محمد ﷺ والأئمة الاطهار وهم خلفاءه بالحق ، في المرتبة الاولىٰ من مراتب هداة البشر، اذ كانوا ملتفتين جيداً لهذا الاصل،وقد أسسوا مدرستهم التعليمية التربوية علىٰ أسس اصول علمية دقيقة مستفيدين من المسائل النفسية قدر المستطاع.

وهنا نراجع معاً نموذجاً واحداً لنرىٰ كيف استفاد الامام عليه السلام من الانظمة والعلوم النفسانية، ولنعرف كيف بنىٰ الاسلام معارفه علىٰ اساس نواميس الخلقة التي تحكم جسم انسان وروحه.

١ ـ كما في قصة ابراهم الخليل (ع) في بيان مسألة التوحيد.

الاحساس بالشخصية

ان تعلق كل موجود بحياته، يعتبر أساساً لسلسلة من المقررات النفسانية، حيث انه وطبقاً لناموس الخلقة، فان كل موجود حي يحب نفسه ويسعىٰ من اجل البقاء.

والانسان متعلق بنفسه وبحياته ايضاً. واذا ما اظهر حبّاً وتعلقاً بامور اخرىٰ فان ذلك نابع عن حبه لنفسه وذاته.

ويمكننا تسمية هذه العلاقة والمحبة وفي شعاع معين باسم «الاحساس بالشخصية»، أي أن كل انسان يرىٰ لنفسه وزناً وشخصية. والاحساس بالشخصية، أصل نفساني معروف، وهو اساس سلسلة من الفعاليات الخاصة التي قد يتأثر بها الانسان احياناً بدون ان يلتفت اليها.

فكما ان كل انسان يشعر بشخصيته ويخدمها، فكذلك يحب أن يخدم الآخرون شخصيته.

والانسان يشعر بنشاط باطني حينما يُكرَم ويُخدم من قبل الآخرين، وعلىٰ العكس في حالة عدم الاهتمام والاعتناء به أو الاستهزاء به، فانه يشعر بالحقارة.

وهذا الشعور بالنشاط ناشيء من أجل تلائم المحيط الخارجي مع شخصيته النفسانية والاحساس بالحقارة نتيجة عدم الملائمة.

انّ الاحترام المتقابل ينتج محيطاً اجتماعياً دافئاً، وامّا الاستهزاء واللامبالاة فانه يولد اضطرابات اجتماعية قد تصل احياناً الىٰ الجدال

واراقة الدماء.

والنظرية الاسلامية ايضاً اعطت مسألة الاحترام المتقابل للشخصيات في العلاقات الاجتماعية اهتماماً واسعاً.

يقول الاسلام : ينبغي أن نحترم عباد الله، وليس الانسان فحسب، بل ينبغي ان لا نحتقر اي موجود مهما كان صغيراً.

ومن البرامج القيمة في المدرسة الاسلامية أن يحبّ لاخيه ما يحبّه لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه[1].

فكما تتوقع من الآخرين أن يحترموك، وكما تتأذى من احتقارهم لك، فبنفس المقدار يتوقع منك الآخرون أن تحترمهم وتكرمهم ولا تهزأ بهم.

وعليه، فعليك أن تجعل نفسك ملاكاً للقياس، وعليك ان تصلح نفسك فاذا احترمت أفراد عائلتك وشخصياتهم في المنزل ، عاملتهم بلطف وادب، فانك ستُحترم وتُكرم من قبلهم، وامّا الخشونة والغضب والانحراف وسوء الادب فانها السبب لعدم احترام الآخرين لك واستصغارهم لشأنك ومقامك.

واذا احترمت الآخرين في الزقاق والسوق والادارة والدكان ، اعلم بان الآخرين سيقابلونك بالاحترام والتعظيم ايضاً.

وبالعكس، فان احتقارك للآخرين وسوء تعاملك معهم وسوء الادب

---

١ ـ ومن هنا، ورد حديث قيم عن الامام الصادق (ع) قال : «احبّ لاخيك المسلم ما تحب لنفسك». ولمزيد من الاطلاع راجع كتاب اصول الكافي، باب «حق المؤمن على أخيه».

هو الذي يضطر الآخرين الىٰ سوء التعامل معك وعدم الاكتراث بك.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

«كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك».

احترم الناس علىٰ مقدار شخصياتهم

الاحترام، هذا الاحساس الطبيعي كما يكون له رد فعل ايجابي فله رد فعل سلبي ايضاً.

هناك قانون نفسي يقول بأن : «الاحترام، يجلب الاحت [illegible] كن احياناً قد يؤدي احترام بعض الاشخاص الىٰ تفرعنه وتكبره حتىٰ يتصور بأنه افضل من الآخرين، وان علىٰ الآخرين ان يحترموه ويكرموه، حتىٰ يصل به الأمر الىٰ الاعتقاد بان دمه افضل من دمائهم، وأن خلقته أفضل وأكمل من خلقتهم.

وهذا الشعور الخاطيء معلولٌ لقانون نفسي آخر مفاده : ان احترام الشخص باكثر مما يستحق وتكرار هذا الاحترام يؤدي الىٰ وجود هذا التصور الخاطيء فيه، ويجعله موجوداً متفرعناً انانياً معجباً بذاته يحتقر الآخرين باسم الشخصية والحق الطبيعي.

لاحظوا ما يقوله امام المتقين وامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في هذا المجال يقول :

«الثناء باكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عَيّ أو حسد».[١]

فبهذه الجملة القصيرة لفظاً تكمن دنيا من العلوم النفسية ، انك اذا احترمت شخصاً باكثر مما يستحق فضافاًالى أنّك لم تزد في قيمته ووزنه، تكون بذلك قد انقصت مقدار شخصيتك وحطمتها بيديك، وبتملقك هذا فقدتّ الاحساس بالاستقلال في نفسك، وشيئاً فشيئاً يرىٰ ذلك الشخص بأنه أفضل منك، وترىٰ نفسك موجوداً تابعاً لا قيمة له.

واذا لم تحترمه بالمقدار الذي يستحقه واحتقرته، فان ذلك لا يريد في شخصيتك، بل هو دليل ضعفك ومظهر روحية سيئة قبيحة وخلق ذميم يعني الحسد، والحالة السبعية فيك لا تدعك أن ترىٰ أحداً أفضل منك.

وامّا اذا احترمت الشخص بمقدار ما يستحق، أي بقدر شخصيته وقيمته الاجتماعية وعظَّمته وكرَّمته، فان هذا سيحفظ شخصيتكما معاً، وتسيران بشكل طبيعي، وحينئذ تحفظ نفسك من عواقب الحسد الوخيمة، كما تحفظ صاحبك عن التفرعن والكبر.

لو احترمنا كلاً بحسب مقدار شخصيته، لما ظهرت مثل هذه الافكار والتصورات الفرعونية والنمرودية في المجتمع بأن يرىٰ الشخص نفسه

---

١ ـ نهج البلاغة / الحكمة ٢٤٧

افضل من غيره من جهة تركيبة وجوده وقيمة حياته وأن علىٰ أحدنا أن يكون حاكماً، والآخر محكوماً.

لقد ذكر الاسلام في قوانينه اصلاً مهماً قبل عشرات القرون من مجيء منظمة الامم المتحدة التي تتباهىٰ اليوم بالتطبيل لهذا الأصل.

لقد اعلنها الاسلام قبل ١٤٠٠ سنة، بصوت عال حين قال : ﴿انّ اكرمكم عند الله اتقيكم﴾[1]، فلا فرق في نظر الاسلام بين زنجي يعيش تحت شرائط صعبة في غابات افريقيا وبين ابيض يعيش مرفهاً في قصور امريكا بأحدث الوسائل والتجهيزات الحياتية، فكلاهما سواءٌ امام قوانين الاسلام ولا امتياز لاحدهما على الآخر الّا بالعمل الصالح.

ولكل شخص في الاسلام والمجتمع الاسلامي وزن وشخصية معينة وعلىٰ الآخرين أن يحترموه ويوقّروه.

اهتمام الاسلام بالشخصية

قد تواجه شخصية بعض الافراد هزيمةً أو فشلاً في الحياة الاجتماعية، والىٰ حد ما يمكن القول أنه لا مجال للفرار من هذه الحالة لوجود الاختلاف الطبقي والمأمور والآمر.

فماذا ينبغي ان نصنع هنا ؟ الاستاذ والمتعلم، والرئيس والمرؤس،

---

١ ـ الحجرات / ١٣.

والعامل ورب العمل، والمحتاج والغني، واخيراً المتسول والمتمول، ما هو العمل الصّحيح في معاملاتهم الإجتماعيّة؟

فهل علىٰ الضعيف ان يشعر بالحقارة والقوي ان يشعر بالكبر ؟

وهل لابدّ من أن تتكرر هذه الاحساسات ليتولّد حسّ الانتقام في الضعفاء؟ وهل هذا الاحساس ضرورة اجتماعية طبيعية لا يمكن اجتنابها؟ كما نرىٰ ذلك في مظاهر الاستعمار واراقة الدماء التي كانت ولا زالت في المجتمعات ؟

هل وضع الاسلام حلاً لردة الفعل هذه ؟

أليس للاسلام رأي في هذه الانتكاسات النفسية ؟

وهل أن رأي الاسلام في أن تبقىٰ المجتمعات متخلّفة، فقيرة مستضعفة تعيش الضغوط الاقتصادية بحجة ان هذا هو ناموس الطبيعة، وان اللـه اراد للانسان ان يكون اسيراً للآخرين[1] ؟

وهل أنّ الاعتراض علىٰ هذا الوضع المأساوي اعتراض علىٰ ارادة الله؟

سنحيل الاجوبة عن هذه الاسئلة الىٰ بحث اخلاقي مختصر في كيفية الاستفادة من حس الشخصية، ونؤجل ذلك الىٰ مقام آخر.

لو راجعكم محتاج لحاجة، فان هذا الرجوع والطلب بنظر الاسلام

---

١ ـ عندما الغىٰ الرئيس الاميركي لينكولن قانون العبيد وحصل علىٰ موافقة المجلس علىٰ ذلك اعترضت مجموعة من العبيد علىٰ الغاء القانون، ورجعوا الوضع السابق.

نعمة من نعم الله منّها عليكم، فاحذروا أن تبدلوا هذه النعمة فتخسروها[1] فان الله عزوجل بامكانه أن يحيل ذلك المحتاج الىٰ شخص آخر غيركم، ولكنه أرسله اليكم لتعرفوا أنفسكم ومقدار اهتمامكم بالآخرين، فاحذروا من الفشل في هذا الامتحان، وليقول للمحتاج : انك انما تطلب حاجتك من الله، فصحيح انك تراجع هذا الانسان، ولكنه مثلك عبد محتاج فقير الىٰ اللّه.

وبذلك تُختبرون ليُعلم المؤمن من المشرك.

فانتم أيّها الاغنياء والمسؤولون، عندما تقضون حوائج الخلق ، راقبوا أنفسكم وليكن هدفكم مرضاة الله فقط. لتحترموا شخصيتكم، ولكي لا ينتهي الأمر بكم الى التفرعن، ولكي تسلموا من هذا المنعطف الخطير.

وانتم ايها المحتاجون، اعلموا بانكم تأخذون حوائجكم من يد الله بواسطة عبده، فلا تحطموا شخصيتكم، ولا تشعروا بالحقارة . لا يتحول شعوركم الىٰ سخط وغضب، ولا يصير ذلك اساساً للعداء والشحناء.

ولم يكتف الاسلام بابداء هذه الحلول لهذه المسألة النفسية المهمة، بل حاول الحدّ من هذه الظاهرة النفسية الخطيرة باعطاء أوامر وارشادات كانت لها نتائج واقعية وعملية.

---

١ ـ قال علي بن الحسين (عليه السلام) : «حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا فتحور نقماً»، ولمزيد من الاستيضاح راجعوا كتاب الكافي، باب «الاهتمام بامور المسلمين» الى باب : «من كسا مؤمناً» والذي يشمل احاديث كثيرة.

فالاسلام يقول للغني : عليك ان تتواضع عندما تـعطي الفـقير ، ان تجعل يده أعلىٰ من يدك فيأخذ من يدك لكي لا يحس بالحقارة ولا يتأذىٰ، فالعظمة لليد العليا، وانت ايها المستغني : عليك ان تقبّل يدك عندما تعطي للمحتاج، لان الله هو الذي أخذ منك لا الفرد الفقير المحتاج الذي يبدو لك حقيراً معدماً.

نموذج عن الامام الرضا ﷺ

واليك نموذجاً رائعاً من تعاليم مدرسة الاسلام التي تصنع الانســان، يقول أحد القميين الموالين للامام الثامن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام : «كنت عند الامام وقد احاط به جمع كثير من الناس، وكـانوا يســألون الامام المسائل ويجيب علىٰ اسئلتهم، وفجأة ورد رجل غريب بدت عليه آثار الغنىٰ والتمول، فسلم علىٰ الامام وجلس عنده وبعد دقائق قال : انا من اهل خراسان، رجعت من سفر الحج وقد سرق قطاع الطريق متاعي، واني محتاج الىٰ المساعدة لاعود الىٰ وطني، وسأتصدق عنكم بما تعطوني فاني غــني في وطني.

فقال الامام ﷺ للرجل : دعك في مكانك، ولم تمض فترة حـتىٰ خـلا المجلس عن الحضّار. فاستأذن منّا الامام ﷺ ودخل الىٰ حجرة داخل الدار، وبعد عدة لحظات نادىٰ من وراء الباب : اين الرجل الخـراسـاني ؟ فـقال الرجل انا هنا، قال الامام ﷺ : خذ هذه المائتي اشرفي بعنوان هدية للتبرك

واقض بها حاجتك، ولا تتصدق بها عنّا ، خذها وانصرف.

فأخذ الرجل ذلك المبلغ وخرج من المجلس.

فسألنا الامام عليه السلام : لماذا احتجبت عنه عندما أعطيته ؟

قال الامام عليه السلام : لكي لا أرىٰ ذلّ السؤال في وجهه، ألم تسمعوا ما قاله جدي رسول الله صلى الله عليه وآله : من احسن في السرّ كان كمن حج سبعين حجة، ومن فضح الناس خذل، ومن ستر رحم»[1] ؟

وفي خاتمة هذا الفصل، نذكر جملة قصيرة من كلام سيد الموحدين وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فدققوا فيها ، قول عليه السلام :

«ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، أحسن منه تِيه الفقراء علىٰ الاغنياء اتكالاً علىٰ الله».[2]

* * *

١ ـ نقلنا الحديث بالمضمون (المترجم).

٢ ـ نهج البلاغة / الحكمة ٤٠٦

٥

التردد، التهور، الخوف

- التردد موقف خطير
- التصميم بعد المعرفة
- الاتسعجال أم التردد
- التهور واللامبالاة
- الخوف
- علاج الخوف والتهور

التردد، موقف خطير

يقول علي ﷺ : «اذا هبت امراً فقع فيه، فإنّ شدّة توقيه أعظم ممّا تخاف منه»[1] فان مضار التردد أشد من مضار الفشل في اقتحام الأمر.

دققوا جيداً في هذه الكلمة القصيرة للامام علي ﷺ كيف اشار الىٰ مسألة نفسية مهمة، فان الشخص الذي يريد ان يقدم علىٰ امر معين فانه يفكر في مضار هذا الأمر كما يفكر في منافعه، فعواقب الأمر مجهولة لديه، وانطلاقاً من غريزة حبّ الذات تتولد لديه حالة الشك والتردد، فهو يرغب بالمنفعة ويحاول طرد المضار، فهو من جهة يقول في نفسه يجب ان أُقدم علىٰ هذا الأمر لجلب المنفعة، ويقول بلسان آخر عليّ ان امتنع عن الاقدام تجنباً للضرر.

فان طالت هذه الحالة في الانسان تركت اثراً سيئاً علىٰ روحه، هي حالة خطيرة حيال التصميم، فاذا تكرر هذا الأمر فانه سيصل الىٰ مرحلة يتردد فيها عن الاقدام علىٰ اي عمل مهما كان بسيطاً وسهلاً، حتىٰ عن الأكل او اللبس والشراء، حيث يبقىٰ لعدة دقائق او لعدة ساعات متحيراً في

---

١ ـ نهج البلاغة: الحكمة، ١٧٥

الاقدام متردداً في القيام بالفعل وعدمه ، يُسلب في النتيجة حالة التصميم والارادة فلا يمكنه التحرك بفاعلية في الحياة.

ومثل هذا الشخص يمكن بسهولة منعه عن القيام بفعل ما، او اقناعه بالقيام بفعل ما فيصبح آلة بيد الآراء، ومثل هذا الانسان يبقىٰ متأخراً عن الحياة السعيدة شاء ام لم يشأ.

وهذا هو الضرر الذي اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام والناجم عن حالة التردد عن اقتحام امر ما، والذي يكون اكثر ضرراً من الفشل الذي قد ينجم عن اقتحام الأمر، فان الضرر المادي يمكن تلافيه وجبرانه، اما ضرر التردد والشك فلا يقبل الجبران.

وعليه، اذا اصيب الانسان بحالة التردد، عليه ان يستجمع قواه ويصمم ويقول في نفسه ليس وراء السواد سواد، فان كانت النتيجة ايجابية فبها وان كانت النتيجة سلبية فان حالة التصميم والارادة كانت قد قويت فيه، وانه سوف يكرر التصميم والاقدام، وسيصل يوماً الىٰ النتيجة المرضية فايهما اكثر ضرراً، الضرر المحتمل من الاقتحام، ام ضرر الشك والتردد ؟

لابد انكم توافقوننا في ان الامام عليه السلام انما قال : «اذا هبت امراً فقع فيه» لتقوية روح الارادة والتصميم بعد المعرفة والادراك، فانك لو قضيت لحظة في حالة الشك والتردد فان ضررها اكثر بكثير من ضرر الفشل في الوقوع في الأمر.

وعدم التماهل في اتخاذ القرار والتصميم المباشر حالة روحية تنشأ عند

الانسان عن التمرين وتكرار اقحام النفس في القيام بالعمل، والتشجيع والاستعداد لتحمل العواقب المحتملة، ونتيجة ذلك صنع انسان مريد قوي لا يهاب ولا يخاف العواقب.

التصميم بعد المعرفة

ولا شك في ان مقصودنا من عدم التماهل والاسراع في التصميم والارادة، ليس التهور والعجلة، واذا قلنا ان عليك ان لا تتأخر عدة دقائق في اتخاذ القرار وعدم الشك والتردد، فلا نقصد القيام بالاعمال بدون تعمق ومطالعة ومعرفة، او التهور في اتخاذ القرار، بل لابد من الأخذ بنظر الاعتبار بان القدرة والشجاعة الروحية في التصميم انما هما لكسر حاجز الخوف والرهبة والتخلص من الضعف لا التهور والعجلة.

ولتوضيح الامر نضرب مثلاً بسيطاً ليتضح الفرق بين الاسراع في التصميم والارادة، وبين التهور والاستعجال.

افرض انك من الخطباء وقد اشتركت في حفل عظيم او افتتاح مؤسسة مهمة، وها انت جالس علىٰ الكرسي في قاعة الحفل تنتظر استماع كلمة الحفل او الافتتاح، وانت تعلم جيداً برنامج الحفل وخصوصيات الخطيب الذي من المقرر ان يتحدث في الحفل . انت مبهور بعظمة الحفل والحضور والتنظيم ؟!

وفي هذه الاثناء علمت بان الخطيب اعتذر عن المجيء فطلب منك ان تتحدث في هذا الحفل بدلاً عنه وانه لا مفر لك من الاجابة . مهما كنت

خطيباً بارعاً مقتدراً فانك ستضطرب حيال هذا الموقف لعدم استعدادك المسبق له، فتزداد ضربات قلبك، ويتغير لون وجهك، وستصاب بضعف في الاعصاب وتشنج في العضلات ، تنقطع سلسلة افكارك السابقة وتفقد ذلك النشاط والشعور الذي كنت تتمتع به قبل هذا الطلب حول المجلس وعظمته وجلاله.

وتعتذر مراراً ولكن صاحب المجلس يلتمس مراراً وتكراراً لانقاذه من المأزق، وترىٰ انك امام موقف لا مفر منه.

وفي اثناء هذه الدقائق القليلة التي تتحدث فيها مع صاحب المجلس وتعتذر اليه، تعود شيئاً فشيئاً حالتك الاولىٰ وترجع الىٰ وضعك الطبيعي، ويعود نبض القلب الىٰ وضعه العادي، وتزول حالة التشنج العصبي والعضلي، وتسيطر علىٰ اعصابك فترتقي المنصة وقد ترتعش كلماتك الاولىٰ عند التلفظ بها، ولكن شيئاً فشيئاً تبدأ بالحديث بشكل مسترسل وطبيعي وتدير الجلسة بشكل جيد وتام.

ولو أُمر موظف في دائرة أو مؤسسة فجأة بالقيام بعمل لا يرتبط بشكل مباشر بوظائفه واختصاصه، او دعي شخص الىٰ الالتقاء بشخصية كبيرة في الدولة، أو أخبر أحد بخبر خطير فجأة وبدون مقدمات، فانهم سيواجهون نفس حالتك بتفاوت طفيف.

لماذا تضطرب نبضات القلب ؟

ولماذا يتغير لون الوجه ؟

ولماذا تضعف وتتشنج العضلات والاعـصاب، الىٰ درجـة انـه نـرىٰ احياناً ارتعاش اليد أو الرجل وارتخاء عضلات الفك والحنك حتىٰ تخـرج الكلمات مرتعشة مرتبكة ؟

كل ذلك لان نفس الانسان تواجه خبراً خطيراً او حادثة غير متوقعة مع فقدان الاستعداد اللازم لمواجهتها، فان حالة من الرهبة والخوف تنتاب الانسان وخاصة اذا دعي الىٰ امر لا مفر منه وبدون استعداد مسبق.

وهذة الحالة تتولد نتيجة لعدم الاستعداد المسبق، فيقول الانســان في نفسه: اذا قبلت، اذا أردت التحدث في هذا المجلس، إذا أردت الالتقاء بتلك الشخصية، قد لا اوفق لاداء هذه المهمة بالشكل اللائـق، فـبـ ـــعة الى أنني لن أصل الىٰ النتيجة المرضية، سوف أواجه والفشل والانكسار.

وردّة الفعل للخوف والرهبة في الدرجة الاولىٰ وبشكل طبيعي هـي الفرار من الموقف والاجتناب عن اقتحامه. ولهذا وقبل القيام بأي محاسبات نفسية يحاول الاعتذار ويحيل المقابل علىٰ شخص ثالث، ومع علمه بأنه لا مفر له من الأمر الّا انه يحاول جاهداً التخلص من الموقف.

ولكنه شيئاً فشيئاً يتخذ طابعاً دفاعياً ويعدّ نفسه لمواجـهة العـواقب المحتملة والضرر المتوقع ـ بحسب اعتقاده ـ والاستعداد للدفاع يولد قوة روحية رهيبة، يرىٰ من خلالها انه قادر علىٰ الانتصار والموفقية وانه رجل الميدان الأوحد.

هذه المعرفة والاعتراف، وهذا الاستعداد والاعتماد علىٰ النفس يؤثران

في الجسم وعوامله ايضاً. فيسيطر الشخص علىٰ أعصابه وتعود عضلاته الىٰ حالتها الطبيعية وهذه السيطرة ترجع الحياة الطبيعية الىٰ كافة اجهزة البدن، فيجد القلب وسائر الاعضاء في جو هاديء طبيعي، ويترك نفسه تحت اختيار الروح. ويعود لون الوجه الىٰ وضعه العادي وتتوقف الاعضاء والجوارح عن الارتعاش.

نعم، في هذه الاضطرابات وفي هذه الفرصة القصيرة، تتحرك غريزة حبّ الذات وهي اصل اكثر الغرائز. وتتجه الروح بسرعة الىٰ الاستعداد للقيام بالمأمورية الجديدة، فيضع حب الذات في هذه الفرصة القصيرة وظيفة القيام بالمهمة تحت اختيار الدماغ وجهاز الادراك. وبمطالعة قصيرة يعدّ النفس للدفاع والحدّ من النقص والقلق، فيضع الخطط والبرامج لمواجهة الموقف حتىٰ يرىٰ نفسه وبعد الحسابات الفكرية اهلاً للموفقية يُنهي اعتذاره ويقبل الاقتراح ويستجيب للطلب ويتقبل عواقبه المحتملة.

الاستعجال ام التردد

بعد أن يواجه الانسان موقفاً اوتكليفاً مفاجئاً سيقف امام طريقين: الاستعجال أو التردد. فقد يستمر عنده الشك والتردد ـ الذي يولده الخوف او الرهبة من القيام بالعمل ـ ويقول لنفسه في كل لحظة هل أقبل القيام بهذه المهمة ؟ فان قبلت فماذا سيحدث ؟ الأفضل ان اعتذر واتجنب الأمر، أليس الأفضل ان اقبل ؟

وهذا التردد في قبول او رفض المهمة، يزيد في الاضطراب النفسي، ويقتل روح الارادة والتصميم، وخاصة اذا احس من أول الأمر بأن عليه أن يقبل المهمة وأن لا مفر له منها، حتىٰ لو اضطر بحكم الوظيفة والظروف المحيطة قبول القيام بالمهمة وشرع فيها، فانه يبقىٰ فاقد السيطرة علىٰ أعصابه.

فتجده خلف المنصة، يتكلم ويتحدث الىٰ الحاضرين ولكن ولان روحه مترددة، ولم يكن بعد مستعداً فانه مضطرب ليس فقط بشكله وصورته، بل ويظهر ذلك من خلال كلماته المرتعشة والنتيجة انه لا يقوىٰ علىٰ اداء المهمة بنجاح.

وكذلك اذا قبل المهمة باستعجال وتسرع وقبل استعداد الروح للقيام بالمهمة وقبل المطالعة والحسابات، فانه حينئذ ايضاً سيواجه مشاكل، ولانه تسرع في القبول فان احتمال نجاحه في المهمة سيكون اضعف. فالقيام بالعمل علىٰ استعجال وتسرع والتصميم علىٰ قبوله يؤدي الى مشاكل عديدة شاء ام أبىٰ، واحياناً يخرج الشخص عن الصواب فيجد نفسه في واد غير الوادي الذي سلك.

فخطر الاستعجال والتسرع في اتخاذ القرار وحتىٰ في التخطيط والبرمجة ليس اقل من خطر التردد والضعف في الارادة ، التردد والشك، والتسامح والضعف في الارادة والتصميم مضر ، لكن العجلة والتسرع او التهور وعدم المبالاة اكثر ضرراً !

اذا واجهنا تكليفاً ومهمة ـ خصوصاً اذا فوجئنا بها ـ ينبغي اولاً مطالعة خصائص الحالة بشكل مجمل، والتحقيق في شرائطها ومقتضياتها الضرورية.

وبالالتفات الىٰ قيمتها ونتائجها نتخذ التصميم اللازم، وقبول الموانع والمشكلات الطبيعية المحتملة في كل قضية قهراً، واعداد النفس للوصول الىٰ الهدف المنشود ورفع الموانع.

ولا بأس في الاسراع في مقاطع العمل الواضحة التي تمت مطالعتها واستباق الخيرات[1]، ولكن في خصوص المقاطع المشكلة الملتوية لابد من التأمل والتدقيق والمطالعة لاجتيازها، لا ان نهتم حين المطالعة بالموانع المحتملة ونتائجها اكثر مما تستحق ، ننظر بعين التردد والشك الىٰ العمل وقبوله ونقضي ساعات في اتخاذ القرار لقبول عمل صغير لا يصرف الآخرون عدة دقائق في اتخاذ التصميم والقرار فيه، فان هذه الحالة (كما بحثنا ذلك سابقاً) توجِد حالة ضعف في الانسان حتىٰ في الامور البسيطة السهلة فتخلق منّا اشخاصاً ضعافاً لا حول لنا ولا قوة.

ولا ان نستعجل ونتسرع باتخاذ القرار، ونقتحم الموقف بتهور، ان مثل ذلك سيؤدي الىٰ مواجهة مشكلات باحتمال ٨٠٪ والتي اذا ما تسرعنا في اتخاذ القرار لحلها، فاننا سنقع في نفس المأزق السابق ونكرره، فيكون طريق الخلاص اصعب ولا نصل الىٰ النتيجة المطلوبة الّا باحتمال ضعيف

---

١ ـ «فاستبقوا الخيرات» البقرة / ١٤٨، المائدة / ٤٨.

جداً.

وهذا البحث مثال لذلك البحث الكلي للعدالة من وجهة نظر علم النفس وهو اتخاذ الطريق الوسط في كل حالات الانسان . سنتحدث في المستقبل (ان شاء اللّه) حولها.

الاستعجال والتسرع، يعني التهور وعدم المبالاة في التصميم. الذي يستقر عند اتخاذ القرار في دائرة الافراط والتهور، وله نتائج وعواقب سيئة[١].

والشك والتردد في اتخاذ القرار والتصميم يعني الخوف والرهبة من العمل، تفريط فيها يبعد الانسان عن الموفقية ويسلب منه روح الارادة القوية[٢].

الصلابة والدقة تعني الشجاعة ـ وقبول او رفض العمل بعد المطالعة والرؤية الواضحة وبدون الخوف والرهبة والاعتدال واداء العمل ـ في حالة السّيطرة على الاعصاب، والاعتماد على النفس والاطمئنان الروحي يؤدي الى النجاح والموفقية في العمل بالكامل[٣].

---

١ ـ «الشر زاد العجول» من كلمات امير المؤمنين (ع) القصار.

٢ ـ «اياك وخصلتين الضجر والكسل، فانك ان ضجرت لم تصبر، وان كسلت لم تؤد حقاً» من وصايا الرسول الاكرم (ص) في كتاب من لا يحضره الفقيه.

٣ ـ «ليس للانسان الا ما سعى» النجم / ٤٠.

«ان الله يحب الشجاع ولو بقتل الحية».

وبالالتفات الى المثال يتضح مرادنا، فان مواجهة الحية بدون مطالعة وتأمل لقتلها خطر بلا شك، كما ان الضعف والتردد في قتلها يوجب هروب العدو، فلابد اذن في نفس الدقت من التدقيق والتأمل والمطالعة ثم الاقدام بلا تخوف وتردد لقتل

سُئل الامام ﷺ سؤالاً، ومع ان السؤال كان بسيطاً وواضحاً ،إلّا ان الامام ﷺ تأمل قليلاً، ثم اجاب بكل إحكام ومتانة ودقة. فسأله بعض الحاضرين عن سبب تأمله في الجواب عن مثل هذا السؤال فقال ﷺ : احتراماً للعلم. فانه غالباً ما يفسر هذا الحديث علىٰ ظاهره ، واحترام العلم هو احترام ذلك السؤال، ولكن يمكن ان يكون المقصود اضافة الىٰ احترام ذلك السؤال، هو احترام اصل العلم يعني لابد ان يكون عمل الانسان متيناً بعيداً عن العجلة والتسرع.

فالعالم ملتفت الىٰ ان التردد والضعف مضر، وان الاستعجال والتسرع والتهور اكثر ضرراً، ولذلك فانه يُحكم عمله مهما كان بسيطاً وسهلاً، فعليه ان ينجز عمله بوقار ومتانة كاملة مع هيمنته علىٰ الأعصاب، وباطمئنان كامل.

التهور واللامبالاة

التهور واللامبالاة عبارة عن اقتحام المهمة بدون مطالعة ، عدم الاستعداد للشكلات والموانع، وأخذ حجم الضرر بنظر الاعتبار، وخلافاً لتصور البعض فان التهور مضافاً الىٰ عدم كونه كمالاً وسلامة روحية، هو نقص ومرض نفساني أيضاً، كما ان الخوف والرّهبة من الموانع والمشاكل

الحية.

يقول انشتاين : ان العمل الموفق توأم مع التخطيط، ومتكيء على هدف سامي، وهو هاديء ولكنه ينتهي الىٰ الموفقية حتماً.

(عن كتاب الدنيا التي أراها).

انحراف ومرض نفساني آخر.

اي ان تصوّر المشكلات فقط حين مطالعة الأمر، وتوهم الضعف وعدم القدرة علىٰ حلّها أخطر من اللامبالاة والتهور[١].

فانت ترىٰ الطفل الذي يهرول خلف الفراشة، ولسذاجته يدخل يده في خلية النحل. فالطفل يقوم بذلك العمل مع وجود هذه الاخطار وأن أدركها بدرجة أصغر. ولكنه كالفراشة التي تحوم حول نار الشمعة فتحترق بتفاوت ان الفراشة عاشقة والطفل متهور.

فالطفل متهور لانه يرىٰ ـ بدرجة معينة ـ الموانع والاضرار ويشخصها، ومع ذلك فانه لايتجنب الاخطار ويهرول دون مبالاة وراء الفراشة حافي القدمين، وبعد فترة يمدّيده في خلية الزنبور دون ان يتسلح بشيء.

فصحيح ان الانسان المتهور يهرول بحرارة خلف المطلوب ولكنه غيرمبالي، لا انه عاشق.

---

١ ـ ما نقوله من انه أخطر من عدم المبالاة باعتبار ان من لا يبالي ويقتحم الموقف مع انه قد يواجه المشكلات والموانع والاخطار، الّا انه يصل احياناً الىٰ مقصوده خلافاً للاشخاص المترددين الخائفين من الضرر والموانع والمشكلات، فان الأمر سيؤول بهم الىٰ ان يصلوا الىٰ حالة يجتنبوا فيها القيام باي عمل مهما كان بسيطاً سهلاً فلا يوفقوا ابداً.

أجل، فمن جهة لابد من القول : صحيح ان المجنون «المتهور» قد يعبر النهر بفترة اقصر من فترة بحث العاقل عن الجسر ليعبر عليه، الّا ان عمل ذلك المجنون تهور علىٰ اي حال، وقد وصل الىٰ الساحل، والّا فما اكثر المجانين الذين غرقوا في النهر فالتقمتهم الامواج والحيتان.

والفراشة عاشق لا يرى الّا الضياء وشعلة الشمعة، بالرغم من أنها لا تدرك النفع او الضرر[١].

اذا دخل تاجر متهور السوق وبدأ بـالاتجار، فـان مـصيره سـيكون كمصير ذلك المجنون المتهور الذي قد يجتاز النهر أحياناً، ولكنه عادة يغرق، ويخسر تجارته وامواله.

واذا دخل كيمياوي الى المختبر بتهور واشتغل بالتجارب فانه كالطفل المتهور الذي ادخل يده المجردة في بيت النحل، وقد ينفجر المختبر احياناً بالمواد الكيمياوية، فلا يهلك الكيمياني نفسه فحسب بل ويحرق المختبر[٢].

واذا دخل سياسي متهور الى الساحة السياسية فـانه سيقود الدولة والشعب كما تتحرك السفينة بلا ربّان نحو الامواج العاتية الخطيرة، وان وصلت احياناً بسلام الى الساحل.

واذا كان رجل الدين متهوراً في عمله فانه سيسير نحو الهاوية ، كذلك الحال في المهندس او الطبيب او طالب الجامعة او المعمار والبناء وغيرهم.

---

١ ـ يطلق لفظ العاشق لمن لا يرى الّا معشوقه، فهو ليس فقط لا يدرك المنافع والمضار، بل هو لا يرى حتى نفسه.

٢ ـ يذكر في تاريخ صناعة الصواريخ : لتهيئة الوقود للصاروخ والذي يشغل حجماً يعادل أضعاف حجم نفس الصاروخ، أنه اجريت تجارب كثيرة، وقد اكتشف المهندس الانكليزي Tiling مادة خاصة فكبسها بصورة قطعات بوزن ٤٥ باون.

ولكن وعلى اثر تهوره وعدم مبالاته، حصل انفجار مهيب في المختبر ادى ليس فقط الى قتل Tiling بل الى انهدام كل البناية واحتراقها.

(نقلاً عن مجلة نور دانش)

الخــوف

التردد والخوف من المضار، هوالسبب في ضعف الارادة، وهو ناشيء من توقّع الفشل اكثر من توقع الموفقية والنجاح، والتي تخرج الانسان عن معترك الحياة وتعزله عن المجتمع.

وفي الامثلة السابقة، رأيتم الطفل كيف ترك ساحة اللعب خوفاً مـن لسعة الزنبور، فرجح العزلة حتىٰ ابىٰ أن يتفرج علىٰ لعب الاطفال الآخرين.

والتاجر الخائف من التعامل خوفاً من الخسارة، خسر رصيده واعتماد الآخرين عليه حتىٰ أدىٰ به الأمر الىٰ اعتزال التجارة.

وذلك العالم الذي ترك تجاربه خوفاً من الحوادث المحتملة واعتمد علىٰ الكتابة والنظريات حتىٰ فقد قابلية الوصول الىٰ النتائج الملموسة.

وكذا السياسي الذي ورد المعترك السياسي بخوف ورهبة ، هو محكوم بالفشل دائماً ولا يمكنه الدفاع عن الاستقلال والحرية الحقيقة مطلقاً.

ورجل الدين الذي امتنع عن الادلاء برأيه خوفاً مـن الزلّات حـتىٰ اعتزل الحياة العلمية، فلم يفلح في خدمة المعارف الالهـية، أو الطـبيب أو المهندس أو طالب الجامعة او المعمار او البناء وكذلك.

علىٰ الرغم من ان للخوف او التهور علل عديدة وقد تجتمع احـياناً عدة عوامل لايجاد هذه الحالة، الّا أن أهم عامل بعد عامل الوراثة (والذي تنتقل بحكمه الاخلاق والصفات بواسطة الجينات)، هـو المحـيط وطـريقة نشوء الطفل في مرحلة طفولته.

فنحن نعلم جيداً بأن الاطفال الذين واجهوا اثناء طفولتهم مواقف صعبة لا يكونون شجعاناً اقوياء فحسب بل سيكونون متهورين لا اباليين بالاحداث ايضاً. فالطفل الذي لم يتحدد بقيود اثناء طفولته ينشأ عادة متهوراً، واذا كان الاب والام متهورين، واذا كان الاصدقاء والاقرباء وكل من يحتك بهم جسورين، فان الطفل سيتأثر بهم ويأخذ عنهم تلك الصفات فتتاكّد فيه هذه الروحية.

كما أن الاب أو الام اذا أظهر الخوف والوحشة من اثر كل امر بسيط، واذا كانا يخيفان الطفل من اشياء خيالية لاسكاته حتىٰ من صوت القطة والكلب، فان هذه الحالات ستؤثر أثرها السلبي في الطفل، فيبقىٰ يخاف الظلام والاصوات حتىٰ بعدما يكبر ويشب . اذا كان الوالدان والمعلم والصديق والناس المحيطين جبناء، فان هذا سيؤثر في روح الطفل فينشأ جباناً شاء ام أبى.

علاج الخوف و التهور

يجب اخراج فايروس هذا المرض من نفس الطريق الذي ورد منه، لتعود حياة الانسان ونشاطه الىٰ الوضع الطبيعي، فيمارس أعماله الحياتية بشكل معتدل، فلا يكون متهوراً، ولا جباناً بل يكون شجاعاً. وبغض النظر عن القانون الوراثي فانه يجب تطهير المحيط من مظاهر الخوف

والوحشة والتهور. فمثلاً ينبغي اكثار الالتقاء بالشجعان[١] ومطالعة حياة الرجال الموفقين الاقوياء، وتعويد النفس علىٰ التفكر والتأمل بما يحيط بها.

فلابد من توضيح وتحليل علل واسباب انكسار المتهورين، تأخر الجبناء، ومطالعتها، ثم تحليل الموضوعات التي يخاف منها الشخص بشكل دقيق وكامل ليتضح له خطأ اعتقاده وظنونه . ليدقق الشخص فيها ثم يتساءل من نفسه : مم الخوف، ولماذا ؟

ولا يخفىٰ انّ مقصودنا من تعويد النفس علىٰ التفكر والمطالعة لا يعني صرف الساعات الطويلة في التفكر ثم اتخاذ القرار . يضعف في مقام التصميم عندما تتجلىٰ الموانع والمشكلات التي تحاول اضعاف الارادة، بل عليه ان يقتحم المشكلات بعد المطالعة والتدقيق ويقول في نفسه انه لاشي أسود من السواد، لكن ليكن حذراً لئلا يصل الىٰ تلك الحالة وفي حين مواجهة المشكل الذي ليس بالحسبان، عليه ان يخطط بسرعة للتخلص منه[٢].

---

١ ـ قال الامام الصادق (ع) : «لا تستعن بكسلان وتستشر عاجزاً».

الشافي / ٢١٧

وبالالتفات والدقة في الحديث يتبين لنا ان المراد منه هو الضعف والعجز الناشيء من الخوف.

٢ ـ عن ابي جعفر (ع) قال : «أتىٰ رجل رسول اللّه (ص) فقال علمني يارسول اللّه شيئاً، فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس، فانّه الغنىٰ الحاضر، قال زدني يارسول اللّه، فقال : اياك والطمع، فانه الفقر الحاضر، قال زدني يارسول الله، قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ، ان يك خيراً أو رشداً اتبعته، وان كان شراً أو غياً تركته.

الوافي / المجلد الثالث ص ٨٠.

ثمّ أنّه بقراءة واستماع قصص وسير الرجال العظام يلقن نفسه هذا الاصل من ان اولئك الرجال مثلنا ولا يفرقون عنّا الّا بتفاوت انهم تجردوا عن التهور والخوف واقدموا بشجاعة وكياسة على المواقف.

وليقل لنفسه : ان الموفقية نصيب من لم يخف الضرر ومن لم يهمل احتمال المشكلات والموانع، فيقدم الى ساحة الاحداث بعد محاسبات دقيقة للطريق والهدف، مع الأخذ بنظر الاعتبار الواقع والمنعطفات المحتملة قدر الامكان.

ان الموفقية والنجاح قرين اولئك الاشخاص الذين لم يعتزلوا الحياة والاحداث تخوفاً من المضار، والذين لم يتسرعوا ويتهوروا في اتخاذ القرارات دون محاسبة ومطالعة، بل يقتحمون الاحداث بعد التفكر والتأمل والمحاسبات الدقيقة والتخطيط السليم، بشجاعة وتعقل، فان واجهوا مشكلة في طريق تنفيذ المخططات لم يتزلزلوا ويتهيبوا، بل يتخذون القرار بسرعة ودقة لحل المشكلة[1].

انّ الطفل الشجاع، في نفس الوقت الذي يتقدم نحو صيد حيوان خطير، يسرع في الاستفادة من ابسط الوسائل الموجودة لديه، فيخرج قطعة

---

١ ـ يقول ملتروز : من لم يتعرض للاختبار والامتحان، ويخاف من الاقدام خوفاً من الضرر، امّا ان يكون جباناً أو متسولاً.
ونُقل عن ساموئيل الانجليزي قوله : يقولون ان السعادة عمياء لا تدري باب من تطرق، ولكنني اقول ان من يقول هذا الكلام اعمى، لو دققنا في سيرة حياة الرجال الموفقين لرأينا ان من عمل اكثر واستقام وتحمل وصبر، طرقت السعادة بابه.

ورقية من جيبه أو منديلاً ويمسك برقبة صيده بمهارة كاملة. فيشبع رغبته وحاجته الطفولية. لا انه يمسك بصيده بيد جرداء. ولا انه يتراجع عن صيده خوفاً وهلعاً منه.

وذلك التاجر الموفق يتراجع خوفاً من الضرر، ولا يتهوّر بلا تأمل وتخطيط. بل يدقق جيداً ويتأمل ويحسب حسابات الخسارة والربح والاحداث والعواقب المحتملة والمشكلات واحدة بعد الاخرىٰ، ثم يتخذ القرار الحازم[١].

وذلك العالم الكيمياني، لايترك المختبر خوفاً من الحوادث المحتملة، ولايقتحم الموقف بتهور وعجلة، بل يراعىٰ الحسابات الرياضية بدقة ويصبر[٢]. و يواصل تجاربه واختباراته. ولذا فانه يحصل علىٰ الموفقية والنجاح، عاجلاً او آجلاً. وسيكون يوماً في قائمة المخترعين.

* * *

١ ـ عن الامام الصادق (ع) : «ان اللّه فوض الىٰ المؤمن أموره كلّها ولم يفوض اليه ان يكون ذليلاً، ألم تسمع اللّه يقول: العزة للّه ولرسوله وللمؤمنين، فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً.

نقلاً عن الشافي / ص ١٣٦.

٢ ـ في الكافي عن الامام الصادق (ع) : «الحر حرّ علىٰ جميع أحواله ، ن نابته نائبة صبر لها، وانْ تداكت عليه المصائب لم تكسره، وان أسر وقهر إستبدل باليسر عسراًكما كان يوسف الصديق الأمين». الحديث

ويقول (داونان) : الغني هو الذي لو اسقطت ساعته الرملية وتناثرت . نحنى الى الارض وجمعها حبة حبة.

٦

الشجاعة والعدالة

- من هو الشجاع ؟
- طريق تحصيل الشجاعة و تقويتها
- العدالة والاعتدال
- الاعتدال في العبادة
- الاعتدال والمعرفة

من هو الشجاع ؟

عندما يسمع عامة الناس او يقرؤوا مصطلح الشجاعة او البطل، تنتقل اذهانهم الىٰ ساحات القتال، او ميادين الرياضة والمسابقات. فهم يعتبرون أن الشجاع هو من يخوض القتال او يخوض المعترك الرياضي بدون خوف ورهبة، وكما هو معروف : «الشجاع من يقلب الميمنة علىٰ الميسرة»، في حين أن الحقيقة هي ان الشجاع من يقدم علىٰ عمل ما بعد المطالعة والحاسبات والتدقيق والتخطيط، فان حصل علىٰ نتيجة ايجابية ادام العمل بدون تردد وخوف من الفشل ، ان حصل علىٰ نتيجة سلبية حتىٰ لو كانت الاضرار طفيفة ويمكنه تلافيها، فانه يرجح تحمل الاضرار وادامة العمل بكل استقامة وثبات[1].

وكما تعلمون فان شخصية امير المؤمنين علي عليه السلام المقدسة ـ وهو خير نموذج للانسان، والذي تتجلىٰ الفضائل الاخلاقية في وجوده الشريف باسمىٰ

---

١ ـ كان الشباب في احدىٰ الميادين يختبرون قدرتهم بحمل قطعة حجرية كبيرة، فمرّ رسول الله (صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم) وقال : ماذا تفعلون ؟ فقالوا، اننا نستبق. فقال الرسول (ص) «الشديد من غلب نفسه».

يقول ديل كارنكي : ان المنتصر والموفق هو من يحصر احساساته بين جداري العقل والارادة.

معانيها- فانه يعتبر من أشجع الشجعان وأقوىٰ الابطال[١]. كما أن ولده الحسين بن علي عليه السلام ومع اتصافه بكل تلك الفضائل الاخلاقية الانسانية الرفيعة كان يمتاز بهذا الامتياز ايضاً. فان الشجاعة الحسينية هي ضرب المثل علىٰ لسان العام والخاص. ولكننا نرىٰ الامام علي عليه السلام ساير الحكومة المعاصرة بعد الرسول صلى الله عليه وآله لمدة (٢٥) سنه. كما أن الحسين عليه السلام عايش حكام زمانه لمدة (١٠) سنوات علىٰ الرغم من انحراف تلك النظم. وكان بامكانهما سلّ تلك السيوف التي كانا يجردونها ويحاربون بها. ولكنهم صبروا حتىٰ يحين الموعد المناسب.

لاحظوا علي بن ابي طالب عليه السلام فانه نفس البطل الذي عرفته ساحات القتال في حروب الاسلام. والذي كان له الحظ الأوفىٰ في تلك الحروب. ولكنه وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وحينما واجه الواقع. أغمد سيفه في غمده مع قدرته وقوته. وكان يبين لهم الحقائق في كل فرصة مناسبة مع رعاية الجهات الدينية والسياسية والاجتماعية. ولم يقم بذلك الّا رعاية للمصلحة الاسلامية. فان اثارة الوضع لم يعد علىٰ المسلمين الّا بالضرر. وخاصة تلك

١ـ يجلس علي (عليه السلام) علىٰ صدر خصمه الذي ارداه طريحاً الىٰ الارض. فيسيء الخصم الادب مع علي (ع). فيقوم (ع) ويسير عدة خطوات ثم يعود الىٰ خصمه ويقطع رأسه. وفي تلك اللحظات التي قام فيها(ع) عن صدر خصمه ومشىٰ عدة خطوات تجلت اروع صور الشجاعة. فان قتله علىٰ ذلك الحال يبعده (ع) عن هدفه المقدس. لان قيمة كل عمل تزداد بقداسة الهدف. فان قتل الخصم في تلك اللحظة كان يحسب علىٰ حساب الغريزة لا في سبيل اللّه. وكان (عليه السلام) يحارب للّه. لا للغضب والعصبية.

الظروف التي كان يترقب فيها العدو الخارجي والداخلي ثغرة ينفذ من خلالها لاضعاف المسلمين والاسلام، وكذلك كان السكوت عن معاوية في ضرر الاسلام[١].

فكما ان الحروب تحتاج الى الشجاعة، فكذلك غمد السيف لرجل مثل علي عليه السلام - في مقابل تحمل المشكلات والمصائب - يحتاج الى شجاعة وسيطرة على المشاعر والاحاسيس.

ونجد بان ولده الحسين بن علي عليه السلام سكت في أواخر ذلك الحكم الذي قارعه أبوه، ولكنه لم يسالم يزيد حتى يوماً واحداً، ليس ذلك الّا للحسابات الدقيقة وملاحظة مصير هذا القتال ومصير ونتيجة السكوت ظروف والعواقب اللاحقة.

وهذه الحاسبات الدقيقة والالتفات الى قيمة النتائج والعمل طبقاً لذلك يحتاج الى شجاعة، لانها تحتاج الى قهر الاحاسيس والمشاعر والى السيطرة على الأعصاب.

وعلى هذا فان الشجاع هو من يقدم على العمل بعد التدقيق والمطالعة والحاسبات الدقيقة وبدون تهور وعدم اكتراث وبدون خوف من العواقب المحتملة حتى لو حركته الاحساسات والغرائز والعجب وصارت مانعة في طريقه.

ان الرجال الشجعان لا تثيرهم العواطف والمشاعر فتتلاعب

---

١ - راجع كتاب المراجعات، او فصل السياسة من كتاب «مرد نامتناهي». (فارسي)

بهم وبمصيرهم. فهم لا يرهبون تهديد الآخرين ولا يخافون الفشل الاجتماعي، فيقدمون علىٰ العمل بعد المطالعة والدراسة والتصميم.

طريق تحصيل الشجاعة وتقويتها

تكتسب الشجاعة عن طريق مقارعة علل الخوف او التهور التي مرّ بحثها بنحو الاجمال فيما سبق.

ولتقوية الشجاعة لابد من اعتزال الناس المتخوفين والمتهورين، ودراسة تاريخ الشجعان الحقيقيين، والتعرف علىٰ طرز تفكيرهم وخاصة مراجعة ومطالعة حياة الائمة، أو ملاحظة مقطعين متقابلين لحياة إمام واحد[1]، ودراسة علل ذلك، فان هذا يؤثر في معرفة سرّ الشجاعة.

ومعرفة السرّ الرئيسي للحديث النبوي المعروف من ان رسول الله ﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وهو يعني بنفسه معرفة سرّ الشجاعة.

ان الشجاعة هي اعتدال روحي وتجرد عن الخوف والضعف من جهة وعن اللامبالاة الجنوني من جهة اخرىٰ.

أنّ ترويض وتكرار القيام بالمواقف الشجاعة، وتلقين النفس وايجاد الايمان بالموفقية والنجاح ـ بسائر الامور ـ من شأنه ان يقوي روح الشجاعة في الانسان.

---

١ ـ كالامام الحسين (عليه السلام) الذي عاش زمن معاوية وزمن يزيد.

العدالة والاعتدال

يطلق لفظ الاعتدال علىٰ إتباع الطريق الوسط بشكل عام. العادل هو من لم يتسرع ويُفْرط في الاقدام، ومن لم يتباطىء ويكثر في التّأخير أي من يختار الاعتدال في تأمين احتياجاته الطبيعية واشباع غرائزه. وفي اي مقام ومنصب كان من حيث الحياة الفردية والاجتماعية.

فنراه مثلاً ولرفع حالة الجوع لا يتناول الاطعمة بكثرة تدخل الضرر عليه، ولا يمتنع عن الأكل حتىٰ يمرض ويهزل.

وبالنسبة الىٰ الشهوة الجنسية وهي غريزة وحاجة طبيعية في الانسان تجده لا هو المتهور الذي لا هم له الّا اشباع شهوته الجنسية، فيلقي بنفسه في المعصية والامراض، ولا يدير ظهره لهذه الحاجة الطبيعية فيلقي نفسه في الكبت والضغط النفسي فيتعرض للاخطار بشكل آخر.

ويراعي مقررات نظام الخلقة في ملبسه ومسكنه ودابته، وكسب ماله وجاهه وثروته، وفي الحكومة والرئاسة، بل وفي كل شؤون الحياة.

ولا يتجاوز الاعتدال والحد الوسط، فلا هو مائل تماماً الىٰ الشهوات واللذات حتىٰ يفقد اطمئنانه وسلامته الفكرية، ولاهو مائل للعزلة حتىٰ يكون مقره اينما حلّ الظلام و طعامه مهما كان.

ان الحدّ الوسط والاعتدال الذي يظهر كصفة في روح الانسان وبعد تأصله يسمىٰ العدالة، ويبدأ من الأعمال الصغيرة ثم ينتهي شيئاً

فشيئاً الىٰ الاعمال الكبيرة. ومن الحياة الفردية الىٰ الميدان الاجتماعي.

اهتم الاسلام بالعدالة والحدّ الوسط كثيراً، وذم الافراط والتفريط حتىٰ في العبادة والعبودية[١].

الاعتدال في العبادة

وان ابتعدنا عن صلب الموضوع، ولكن اسمحوا لنا ان نبحث قليلاً في العبادة والاعتدال مادام الكلام قد جرّ اليها.

العبودية والعبادة بمعنىٰ الطاعة والانقياد، او التقرب للمعبود، الاستصغار والتواضع له، يمكن ان تنجم عن احد الاسباب التالية:

أ ـ الخوف : عندما يقف الانسان امام مقام ذي قدرة يعاقب المتمردين عليه، او يتدخل في حياة الناس فاذا غضب علىٰ أحد يدمرّ حياته وعيشه، مثل هذا الانسان يضطر للاطاعة بحكم غريزة حبّ الذات والرغبة في نيل المنافع ودفع الاضرار، فانه اذا ما تمرد فانه سيلقىٰ المصير الخطير الذي ينتظره من قبل ذوي القدرة أو يُحرم من مساعدتهم.

وهذا النوع من الطاعة (أو العبادة) يرتبط بشكل مباشر بالخوف من

---

١ ـ عن النبي (ص) : «ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله الىٰ عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً ابقىٰ». وفي رواية : «ولا تكرهوا الىٰ انفسكم العبادة».
الشافي / نقلاً عن الكافي.

المعبود، فان أمن يوماً عقابه او استغنىٰ عنه تمرد عليه وترك طاعته[١].

وليس لهذه العبادة والطاعة لذة في قلب مثل هذا العابد والمطيع، بل تكون عذاباً روحياً في كثير من الاحيان، ويريد التخلص منها باقرب فرصة.

بل في بعض الأحيان يقل في نفسه: إذا صوت يوماً ما قائداً و تعقون تحت أمري مباشرة سوف ترون عندئذ فمعنىٰ ألم الطّاعة من الخوف.

اطاعة الموظف والمأمور والجندي والطفل اذا كانت عن خوف، فلها مثل هذه العواقب منه، فهو دائماً في حالة انتظار ساعة الانتقام.

فان كنت رئيس مؤسسة، مدير ادارة، قائد فرقة عسكرية أو اباً، فحاول ان لا تبني علاقتك بمأموريك علىٰ اساس الخوف.

الأوامر الجافة والتهديد والمعاقبة، لا تثمر شيئاً[٢]، ولا قيمة لمثل هذه العبادة ولا اثر سواءً للعابد او للمعبود.

ب ـ الطمع : عندما نواجه انساناً ذو مقام يجزل العطاء ويضاعف أجر الطاعات الصغيرة ويعدها كبيرة، نتحرك باتجاهه بحكم غريزة حبّ الذات، ونطمع في هباته وعطاياه، ولأجل الوصول الىٰ ذلك نطيعه ونأتمر بأوامره وننتهي بنواهيه.

وهنا، يكون العابد والمطيع عابداً مطيعاً ولكن من اجل الأجر ، هو

---

١ ـ «ان الانسان ليطغىٰ ان رآه استغنىٰ» العلق / ٦ ـ ٧.
فالآية تتحدث عن هذا القانون الطبيعي، والّا فان العبادات الحقيقية التي سنبحثها فيما بعد، لا تبتلى بمثل هذا التمرد والتخلي.

٢ ـ «شرّ الناس من اكرمه الناس لاتقاء شرّه».

يريد الاجرة فحسب لا الطاعة ولا المطاع. يريد الثواب لا المعبود.

فعندما يناول اناءً من الماء لسيده. فهو كالمضمد ومساعد الطبيب الذي يزرق المصل من اجل الحصول علىٰ النقود لا غير . هو ايضاً يناول الماء من اجل الاجرة والعطاء. اي انه ينظر الىٰ منفعته ضمن شعاع حبّ الذات واطاعة مثل هذه هي اطاعة التجار. هي لا قيمة لها ولا وزن[١]، وهي لا تبين مقام المعبود ولا مقام العبادة.

وهؤلاء. يمكنهم الالتفات مطلقاً الىٰ ان حياتهم ومصيرهم مرتبط بذلك الاله وبنظام الخلقة في كل لحظة. وان فلك الوجود يدور تحت ظل القدرة الالهية. وهؤلاء لا يستطيعون ادراك ضعفهم وقدرة وعظمة اللّه وان يعبدوه لانهم مربوبون لذلك الرب. وانما يرون انفسهم ومصالحهم فقط. فهم يطمعون بالحور العين والولدان المخلدين. ويصلون للكباب والشراب الطهور.

مثل هذا العابد والمطيع يكون دائماً في حال اعتدال بين الخوف والرجاء[٢]. كي يمتنع عن العصيان والتمرد والاّ اذا آمنه من العذاب أو آمله

---

١ ـ يقول علي (عليه السلام): فمنهم من عبدالله خوفاً وهي عبادة العبيد، ومنهم من عبد الله طمعاً في الجنة. وهي عبادة التجار. ومنهم من عبدالله حباً. وهي عبادة الاحرار. عن نهج البلاغة.

٢ ـ وردت روايات كثيرة في باب الخوف والرجاء. ولكننا سنكتفي هنا بنقل رواية واحدة فيما يرتبط بالمقام. فقد ورد عن الصادق (عليه السلام) انه قال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتىٰ يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتىٰ يكون عاملاً لما يخاف ويرجو».

الكافي / ج٢

بالثواب اكثر من المقرر، فانه يوقعه بالخطر، ويكون معرضاً للسقوط[١].

وكما نقرأ لمثل هذا العابد آيات العذاب، علينا ان نتلو علىٰ اسماعه آيات الجنة والرضوان ايضاً، فبنفس المقدار الذي نبشره فيه، لابد ان نحذِّره ايضاً، والّا وكما قلنا تعرض لخطر السقوط[٢].

ومن الطبيعي فاننا لا نريد انكار صحة العبادة المبتنية علىٰ اساس الثواب او النجاة من العذاب، بل اننا نعتقد بان لمثل هذه العبادة اثراً ايضاً ـ بعد الالتزام بشرائطها ـ في المساعدة علىٰ الوصول الىٰ نتيجة مرضية، وان لها دور مهم في ذلك وانها ذو قيمة، فاحترامها والاهتمام بها صحيح، فانه وكما تعلم بان العقاب والثواب نوع ضمان اجرائي، وقد اهتمت به كل المدارس الوضعية . وقد استفادت منها الاديان السماوية والشريعة الاسلامية المقدسة الىٰ حدّ كبير[٣].

ولكن ما يهمنا هو ردة فعل غريزة حبّ الذات ازاء مثل هذا التهديد او البشارة والعذاب والثواب، وبعبارة اخرىٰ إن مورد بحثنا انما هو الاشعاعات السلبية لحبّ الذات الذي يرتبط بشكل مباشر بدرجته

---

١ ـ لا شك في ان مرادنا من الخوف والرجاء هنا هو ما يرتبط بالثواب والعقاب والجنة والنار، وليس بالنسبة الىٰ مقام الربوبية، اذ لا نبحث هنا الخوف والرجاء من الله، فان الاعتدال في هذا المقام من اسمىٰ مراتب الكمال الايماني، والذي سنشير اليه في القسم الثالث من العبادة.

٢ ـ «إنا ارسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً» البقرة / ١١٩.

٣ ـ وردت آيات كثيرة في القيامة والثواب والعذاب وارتباطها باعمال الخلق، ولكن اشير في كثير منها الى كلية وقانونية هذا المعنىٰ وانهم يثابون، او يعاقبون علىٰ أساس نظام كلي، فمثلاً لاحظوا هاتين الآيتين : «هل جزاء الاحسان الّا الاحسان». الرحمن / ٦٠
وقوله تعالى : «هل تجزون الّا بما كنتم تكسبون». يونس / ٥٣

الايجابية، اي ان عامة الناس يظهرون ردة فعل كهذه على التكاليف والبشائر او العقاب والثواب، وهي نفس ما تظهره الغريزة في جانبها الايجابي، فهم يتحركون بحكم الرغبة في المنفعة والأجر والحصول على الثواب والفرار من العقاب (العلة الفاعلية)، ومثل هذا الامر لا ينال الاحترام كثيراً بدون ادراك علاقته بالآخرين.

ج ـ الاحساس بالمسؤولية : عندما نواجه عندما نواجه مقاماً مقدساً عزيزاً، و نلاحظ كيفية ارتباطنا به، ودرجة تأثيره فينا، يتولد عندنا الشعور بالمسؤولية، وحالة الشكر والعبودية والتواضع والعبادة، فنطيعه من اجل هذه المسؤولية والاحساس بها.

فهنا المسؤولية والوظيفة هي التي تحركنا للقيام بالطاعة وان لم نحصل على منفعة وثمرة وحتى لو لم يكن على التمرد عقاب، بل لو كان هناك ثواب وربح فاننا نغض النظر عنه ونسلّم لعظمة وقدرة المعبود.

وهنا وبحكم الاستحقاق الطبيعي، نتواضع ونعترف بان ارتباط الموجود بالوجود المطلق اللامتناهي هو عبادة وتسبيح[1]، وادراك واحساس ذلك كاف لان نتواضع امامه، يعني ادراك هذا المعنى على الرغم من كل ما نملكه من قدرات وعظمة فاننا موجودات محكومة لنظام عظيم ودقيق وهو بدوره محكوم لقدرة مطلقة.

ويكفي أن نعترف بعجزنا على الشكر والعبادة كما ينبغي، وان نتواضع بقدر قدرتنا واختيارنا.

---

١ ـ «يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم». الجمعة / ١

يقول أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ : «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طعماً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

(نهج البلاغة)

وقال الامام الصادق ﷺ : «أفضل الناس من عشق العبادة». الشافي / ١٥٩

مثل هذا العابد الذي خوفه ورجاؤه من الله والىٰ الله لا من العذاب وللثواب، هذا العابد كما يقول عنه الامام الصادق يحلق بجناحي الخوف والرجاء الىٰ رضوان الله لا الىٰ الجنة هرباً من جهنم.

قال الصادق ﷺ : الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاً كان من الله خائفاً واليه راجياً وهما جناحا الايمان يطير بهما العبد المحقق الىٰ رضوان الله وعينا عقله يبصر بهما الىٰ وعد الله ووعيده والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس».

المحجة البيضاء / ج ٧، ص ٢٨٣

هذا الخوف والرجاء هو الذي يعدّ من مراحل الايمان السامية ، الاعتدال الانساني في هذا الخوف والرجاء من الذات المقدسة مظهر من مظاهر الايمان والمعرفة.

عندما يُذكر من كتب «علم الاخلاق» عبارة : «ادِّ مسؤوليتك من اجل اداء المسؤولية»، هذه الجملة اعلىٰ المراحل الاخلاقية، ليست مسألة تقال وتقرأ، وانما هي رياضة وتمرين وعمل.

الاعتدال والمعرفة

اذاكنت رئيس مؤسسة، أو مدير دائرة، أو قائد فرقة عسكرية أو أباً، فحاول ان تكون علاقاتك بمأموريك مبنية علىٰ الاعتدال والقسط بين الرجاء والخوف، فلا تكون خشناً فتكون اطاعتهم لك عن خوف، ولا أن تكون معهم ليّناً اكثر من الحدّ المتعارف فيتمردون بكل سهولة واطمئنان وأمان، فلا تترك الطفل وشأنه حراً حتىٰ لا يبالي بنصائحك، ولا تقيده الىٰ درجة الطاعة قهراً وبلا اختيار ، يخطط للانتقام منك. فمع حفظ الاعتدال بين الخوف والرجاء ، حاول أن تساعده علىٰ الكمال الفكري وتوسعة شعاع حب الذات عنده، فيؤدي وظيفته بناءً علىٰ احترام الوظيفة وتحمل المسؤولية ، ان يعبد الله ويطيعه انطلاقاً من حب اللّه ولله[١].

عندما تقول لولدك: اذا أديت هذا العمل باتقان، أو اذا نجحت في مدرستك هذا العام فاني سأعطيك جائزة، والاّ فاني سأعاقبك عقاباً شديداً، بدون ان تبين له قيمة هذا العمل وثماره، فانك تكون قد اثرته ضدك فقط.

وعندما يقول المعلم لتلاميذه : من حصل علىٰ درجة عالية فاني سأعطيه جائزة، بلا ان يبيّن له نتائج ذلك وثمارها وأهمية التحصيل العلمي فانه قد قام بتحريكه فقط نحو الحصول علىٰ الجائزة او خوفاً من العقاب المنتظر.

ولكننا لو قمنا بتقييم هذا العمل من الناحية النفسية، فاننا سنجد أن

---

١ ـ قال علي (عليه السلام) : «الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح اللّه ولم يؤمنهم من مكر الله». نهج البلاغة

قيمته لا تتعدىٰ قيمة الجائزة، أو النجاة من العقاب، وليس له ادنىٰ أهمية اخرىٰ من الناحية المعنوية، ولا نتوقع غير ذلك.

فصحيح أن الطالب قد أدىٰ وظيفته وتعلم الدرس، ولكنه لم يفهم شيئاً عن قيمة التحصيل وفلسفته، ولا يمكنه أن ينظر الىٰ العلم والىٰ ذلك العمل الذي قام به نظرة احترام واكبار.

فنفس هذا الطفل، اذا صار طبيباً، أو ضابطاً، أو مهندساً، أو معلماً، أو محامياً، أو خطيباً أو.. . فانه قبل كل شيء يحسب حسابات النفع والضرر المادي في عمله، ولا يهتم بمقدار تأثير عمله في المجتمع أو العلم أو الدين، فتجده ينفعل ويضجر لأصغر مشكلة تواجهه، فمادامت منافعه محفوظة يؤدي عمله ووظيفته وان كان لعمله اثر سلبي في المجتمع أحياناً.

وهنا نجد أن حركة المجتمع تسير ببطء مهما كان المجتمع عريضاً كبيراً، فتتفشىٰ الرشاوىٰ، والسرقات والجرائم، لان المهم في مثل هذا المجتمع عند الجميع هو الحياة المادية والربح والانتفاع الشخصي، وكل من يقوم بعمل انما يقوم به من اجل الربح لا من اجل القيمة والنتيجة. فكل واحد يرىٰ نفسه في شعاع ومحيط محدود وهو المحيط الشخصي الخاص.

وهنا، لا يستطيع حتىٰ الدين أن يؤثر في التغيير، فحتىٰ العبادة والتكاليف الدينية تذهب هباءً منثوراً، فلا يمكن للصلوة ان تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر[1]، ولا يمكن للصيام ان يضفي صفاءً مقابل الحرص والطمع، ولا يحث علىٰ مساعدة الضعفاء والمساكين، فلا يُعد تقوىٰ ولا يُعد

---

١ ـ «ان الصلوة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر». العنكبوت / ٤٥

صانعاً للانسان[١].

والحاصل، اذا لم تُبين قداسة وفلسفة اداء الوظائف في البرامج التربوية الفردية والاجتماعية والدينية، فان الحياة بكل جمالها وألوانها ستكون بلا ضياء وتكون حياة مملّة متعبة.

فصحيح انه لابد من التهديد والترغيب من اجل تقدم العلم والتربية والتعليم والاسراع في اجراء المقررات، وانه لابد من الثواب والعقاب، ولكن لابد من معرفة فلسفة هذا التكليف وقيمته الذاتية الىٰ جنب تلك التهديدات والترغيبات.

ان موظف الدائرة او بواب الرئيس يبقى لسنوات عديدة يؤدي الاحترام كل صباح ومساء، ولكنه عندما يسمع بخبر انتقال الرئيس الىٰ شغل آخر، فانه يفرح ويُسرّ.

وقد يعمل هذا البواب أو الموظف مع رئيس آخر لفترة قصيرة جداً، ومع ذلك عندما يعلم بانتقال الرئيس الىٰ عمل آخر فانه سيتألم وسيحاول بكل قدرته ارجاع الرئيس الىٰ شغله السابق !

من أين ينشأ هذا التفاوت ؟ مع ان المقررات والقوانين الادارية واحدة في الحالتين، فلماذا هذا الاختلاف في ردة الفعل ؟

في الحالة الاولىٰ كانت المقررات تؤدىٰ بشكل جاف وخشن وضمن اطار القانون، وكأنه تمثال بلا روح، فلم يسمع هذا الموظف أو البواب من الرئيس كلمة واحدة من الحب والعطف، ولم ير يوماً ابتسامة من قبل

---

١ ـ «كُتب عليكم الصيام.... لعلكم تتقون». البقرة / ١٨٣

الرئيس توجه اليه أو شكر أو تقدير. ولانه لم يلتفت الىٰ فلسفة عمله، لم يكن يلتذ أبداً باجراء المقررات والقيام بالوظيفة. وانما كان فقط يرفع يداً ويضرب رجلاً لتحية الرئيس. فلم يحرك ذلك عاطفة ليوجد علاقة صميمية.

وامّا في الحالة الثانية. فبعد مضي عدة ايام، سمع هذا الموظف أو البواب من رئيسه كلمة شكر، ورأىٰ ابتسامة مطبوعة علىٰ شفتيه اعراباً عن حبه وتقديره له. فعرف فلسفة اداء وظيفته. فأخذ يحترم القوانين والمقررات الادارية من ذاته. فكان ذلك الاداء يوجد لذة في روح وقلب هذا الموظف والبواب، ومن هذه اللذة عرف انه موظف بالقيام بهذا الدور وان رئيسه يستحق الاحترام. فادىٰ وظيفته من اجل قيمتها واثرها الذاتي.

وكذلك الحياة العامة، والعبادة التي تؤدىٰ في حدود الاطار الجاف. نعبد، نصلي، نصوم، نحج، ولكننا نؤدي طبقاً للحسابات المادية الصرفة. ونلتفت الىٰ نتائجها وفوائدها الشخصية الفردية . انها مفيدة للمزاج والجسد. فما دمنا نتعرف علىٰ مقررات الحياة والعبودية عن طريق اثارة الغرائز وحب الذات وجلب المنفعة الفردية. فان هذا الوضع وبحكم القوانين النفسية سيبقىٰ ثابتاً ، تبقىٰ قيمة كل شيء مختفية، ويبقىٰ مقياسنا فقط هو النفع المادي الشخصي.

وامّا اذا كان المعلم، ومن قبله الأب والام، ومن بعده المدرس والاستاذ ثم المحيط، يقومون بتوضيح فلسفة الحياة والعمل جنباً الىٰ جنب التهديد والترغيب والوعد والوعيد. فان حسّ الاطلاع يصحو في الانسان. فيحركه

حب العلم والتحقيق حتىٰ يتعرف علىٰ روح وحقيقة الحياة والعبودية. فاذا شغل في المستقبل منصباً من المناصب، فانه لن يهتم لمقدار الحقوق المالية التي يحصل عليها بمقدار ما يهتم ويعتني بما يقدمه من خدمة للامة.

فاذا ما التفتنا الىٰ هذا الأصل في مسائل التربية الاجتماعية ، ان طفل اليوم اذا ما صار في الغد طبيباً أو معلماً أو مهندساً أو وزيراً أو محاسباً، ولانه يعلم جيداً قيمة عمله، فانه سيعمل من اجل احترام الوظيفة والخدمة فقط لا من اجل الاموال والنفع الشخصي[1]، والنتيجة هي عكس نتيجة الصورة السابقة، فحتىٰ في المنصب الشخصي سيحاول خدمة المجتمع لا الذات حتىٰ لو كان في مقام اجتماعي.

وبالالتفات الىٰ المطالب السابقة، فاننا لا نريد ارجاع كل الاوضاع النفسية وكيفيات الروح الىٰ الغريزة الجنسية، أو حبّ الذات، وان نعتبرها مسيطرة علىٰ باقي الغرائز.

ولا نريد القول بصحة ما قاله «فرويد» من ارجاع كل الغرائز الىٰ غريزة «الشهوة»، وان جميع الغرائز تنبع من غريزة الشهوة، لا نريد الاقتراب من هذا الرأي الخاطيء، وانما نريد الاعتراف وتثبيت نظرية الفيلسوف الاسلامي العظيم صدر المتألهين الشيرازي العلمية الدقيقة، والذي ملخصها هذه العبارة : «النفس في وحدتها

١ ـ والآن فهمتم معنىٰ الحديث الشريف القائل : «من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم» فهو يشمل كل افراد المجتمع الاسلامي ، ليس فقط اصحاب المناصب والمقامات.

كل القوىٰ». فان الروح والنفس وذات الانسان مع انها واحدة فانها كل قواه، ومع انها كل القوىٰ فانها واحدة.

ارجو من العلماء ان ينظروا لي بعين العفو والتجاوز. وأرجو من القراء المحترمين الارشاد والتذكير، راجياً من اللّه العزيز التوفيق للجميع.

قم ـ الحوزة العلمية

محمد اليزدي

والحمد للّه رب العـالمين

والصلاة والسلام علىٰ

سيدنا محمد وآله

الطاهرين

• • •

المحتويات

❀ ❀ ❀

«١»

الخلقة والنظام النفسي (الباطني)

❀ ❀ ❀

(٢)

الغريزة والسيطرة عليها

❀ ❀ ❀

(٣)

الانانية

❀ ❀ ❀

(٤)

الشخصية

❀ ❀ ❀

(٥)

التردد، التهور، الخوف

❀ ❀ ❀

(٦)

الشجاعة والعدالة

❀ ❀ ❀